

محمود علي

حياة رسول الله

دار الحديث
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

2005 م - 1426 هـ



دار الجبل

للنشر والطباعة والتوزيع

ISBN: 9953-78-077-3

بيروت: البوشرية - شارع الفردوس - ص.ب. : 8737 (11)
هاتف: 689950 - 689951 - 689952 / فاكس: 689953 (009611)

E.mail: daraljl@inco.com.lb.

Website: www.daraljl.com

القاهرة: هاتف: 5865659 / فاكس: 5878852 (00202)
تونس: هاتف: 71922644 / فاكس: 71923634 (00216)

الافتداء
اللهم منك واليك

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

ما شاء الله ... لا قوة إلا بالله ...
لا تحبن أن « بحياة رسول الله » صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ... يمكن
أن توضع في كتاب كهذا صغير ...
لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ... وراء الإدراك ...
و فرق القول ...
ومصدق الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ...
وإنما كان لهذا الكتاب الذي بين يديك ... قصة ... لطيفة ...
وقصته أتى كنت ذات يوم اقرأ السيرة الخالدة لابن هشام ...
فأنت حين قراءتها أنها شيء عظيم حقاً ... أوعت حياته صلى الله تعالى
عليه وسلم ... وجمت ...
إلا أنها كتبت بمفاهيم عصرها ... الذي سجلت فيه ...
فرايت أن أقدمها ... في اختصار يناسب أذواق قراء اليوم ، ومفاهيم
عصر الذرة والتلفزيون ...
فاستصغيت منها هذا الكتاب ... ووضعت في اعتباري ، أن يكون تركيزاً
أميناً ... لتلك السيرة الخالدة ...
لجاء بحمد الله ... فيه من كل شيء ... في تلك السيرة ...
ويخلو من كل شيء فيها ... يخل على أذواق اليوم ...

وأحب أنه بذلك ... يحقق للقارىء أن بنعم بالجمال الـكون فى كتب
الأفـلمين ... يـنـاب إـلـه فى أسلوب سـهـل ... يـوشـك أن يـكـون فى سـهـولة أسلوب
صـحـاة الـيـوم ..

ولقد اـهـتـدـت فى ذـلـك بقـولـه تـعـالى : « ولقد يـسـرّنا القرآن لـدّ كـر فـهـل
مـن مـدّ كـر » ١٩

فـالـدـعـوة إـلى الله ، يـمـب أن تـقـدم إـلى كل عـصـر ، بـفـاهـيم أهـل ذـلـك العـصـر ...
وهر المـشـار إـلـه فى قـولـه سـبـحـانـه : « بـلسـان قـوّمـه » .

وليس لأراد باللسان الـلـقـة فـسـب ... وإـنـما أسلوب الـلـقـة ... وكـيـفـية أداء الـلـغـة
إلى النـاس ... بـحـيـث تـجـه إـلى قـلوبـهم وعقولهم ... دون أدنى عـنـاء ...

لقد بذلت أقصى جهدى ... كي يكون الكتاب سهلاً ... مع المحافظة على
حـقـائق الـرـجـع الأصـيلة ...

ثم قـطـعـته ... قـطـعـاً قـطـعـاً ... متـجـاوـرات ... وعـنـوت لـكل قـطـعة
بـمـنـوان بارز ...

كل أولئك ... لأذهب السّامة عن قارئه ... فلا يـلـ ولا يـسى ...
وكـم من كتاب ... من كتب الأفـلمين ... لو وُجِد من يـقـدمـه إـلى النـاس ...
فى زينة العـصـر ... و « ديكور » الـيـوم ... لأقبلوا إـلـه بـنـاسـيـون ...
ولى مذهب فى عرض المفاهيم الإسلامية ... آخذ به نفسى ... وقد لا يوافقنى
عليه فريق من الكاتـيـب ...

أن تُعرض تلك المفاهيم .. فى أسـلـس أسلوب .. وأسهل أحوال .. وأبقى صورة ..
لأن عصرنا ... عصر السرعة ... عصر الصـعـود إـلى القمر فى سـاطـت ...
هـز أعصاب النـاس هـزاً عـنـيفاً ... فلا يـسـتـطـيـعون مـمـ المـلـة لـات صـبراً ...

فإن قيل : فليذهب أولئك مع الريح ... إنما نكتب للذين يريدون أن
يصابروا ويصبروا مع أعاق الخائف ...

قلنا : ليس من الحكمة في شيء ما تقولون ...

بل نحبهم في دينهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ...

ونسوق إليهم ما نسوق .. سوقاً جميلاً ...

عسى أن يكون منهم ... من يقبل على الله اقبالا طويلاً ...

هناك ... وبد أن يفتح قلبه ... سوف يبحث هو ... عن موسوعات
الأقلمين ... ونفوس خلاها غوماً ...

فالدعوة إلى الله ... فن ...

فن عميق ... وبحر سحيق ...

والتوفيق فيها ... علامته ... أن تحسن جذب ... الشاردين ... إلى الله
جذباً لطيفاً ...

وكأئن من قلب شارد ... التقطه من بحر الفتن ... كتاب صغير ... أو تعبير
عارض جميل !

فمسي أن يكون هذا الكتاب الذي بين يديك ... هو الزهرة الجيلة التي
تحبيبك ... في تتبع حياته صلى الله تعالى عليه وسلم ... حيث شئت تفصيلاً ..

وقد نكون السباحة في « حوض السباحة » هي الباب الذي يدفعك إلى
السباحة في البحر المحيط !

نعمود شامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تلك هي قصة النبي صلى الله عليه وسلم ، اقتبسناها من مراجعها الأصلية :
وأخذناها من منابها العافية ، تترقق كما يترقق الماء المصنّى مع نسجات الربيع .
ولقد نظرنا فيما كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قديماً أو حديثاً
واستعرضناه ، وفكرنا فيه طويلاً ، فما وجدت أعذب من سيرة ابن هشام ،
ولا أحلى منها مذاقاً .

لا لأنها أطول السير ، ولا أجمع التواريخ ، ولكن لأنها تمتاز بفرب عهدها
من صاحب السيرة نفسه ، وكلما كان للماء قريباً من المنبع كلما كان أصنى .
وتمتاز كذلك بمزالة اللفظ ، وفصاحة التعبير ، وبلاغة الإيجاز .
فهي تأتي بالمفحات العارال في ألفاظ قصار ، ومع هذا لم تخل ، ولم تقصد
المعنى .

وتلك هي البلاغة العربية الأولى ، بلاغة قريش التي جاء القرآن يتحداها
ويسجزها .

ولقد طربت طرباً كبيراً ، وأنا أتلو سيرة ابن هشام ، حين رأيتها على جانب
من البلاغة كبير .

من أجل ذلك كانت هي مرجعى الأول في هذا الكتاب .
ولقد تمسكت أن أحافظ على ألفاظها ، وأوردها بنصها ، لأن بلاغتها منقطعة ،
النفاز ، ولأنها حررت في عهد قريب من النبي صلى الله عليه وسلم .

إلا أن تلك السيرة كتبت بما يلائم عصرها ، وبعضى مع ذوق الجماهير للسلطة في زمانها .

فهي تسجل أشعاراً طويلاً ، وقصائد واسعة في كل حادثة ، وكل واقعة .
وما كنت لأمضى منها في أشعارها ، ولكن أقيمت بالشعر بعيداً ، غير آسف عليه ، لأن ذوق هذه الأيام ، أصبح يخالف أذواق سالف الزمان .
فإن شئت أن تقول : إن هذا الكتاب يحوى بين دفتيه « سيرة ابن هشام » فهو كما قلت ... ولكن بعد حذف الأشعار ، وحذف مالا جدوى فيه ، وحذف ما يختلف فيه ، وحذف مالا يتفق مع روح العصر .

وكما قلت آنفاً ، إننى حافظت على ألفاظ سيرة ابن هشام لأحافظ على روحها العربية الأصيلة ، فإنى أقول : إننى نصرفت في بعض ألفاظها القديمة التى نشق على القارىء الحديث ، فجعلتها إلى ألفاظ سهلة مألوفة للجماهير .
وثمة وجهة أخرى ...

تلك الوجهة ، هى أن الكتاب ليس ملخصاً لسيرة ابن هشام - وإن كان جامعاً لزبدة ما فيها - ولكنه كتاب جديد عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهو يتكلم عن حياته عليه السلام - من مولده إلى وفاته - ويسجل وقائع تلك الحياة تسجيلًا صادقًا أصيلاً .

فلا خرافات ... ولا خيالات ... ولا التواءات ... ولا انحرافات ... ثم هو بعد ذلك له منهجه فيما تكلم فيه أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومنهجه في ذلك ، أن أولئك أحقر من أن يقام لهم وزن ، أو يلحق إليهم بحديث .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من أن تلمسه ، وتلقى «نوره» تلك الحشرات الهابة على الأرض .

إتباع مثل محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين يريدون أن يطفئوا نوره ،
كثل صغار وقفوا في خلاء ينظرون إلى الشمس في يوم صحو ، في الظهيرة ،
قلما أن بهرت أعينهم بشعاعها ، ومجزوا عن فتح أعينهم في قوهها ، قالوا لأنفسهم
هم تنفخها بأنفوا هنا ، فنطفىء نورها ، انتقاماً منها لأنها آذت أبصارنا !! .

تملأ ... أعداء محمد صلى الله عليه وسلم ، نظروا إلى نوره ، فإذا هو يسقط
من الأرض إلى السماء ، فلما استطاعوا أن ينظروه ، وما استطاعوا له إحاطة ،
فوقفوا ينفخون بأنفواهم ، ليطفئوا نور الله ، والله متم نوره ، ولو كره
الجرمون .

فالرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من أن يطمس ، وهؤلاء أحقر من أن
تشغل أنفسهم بالرد عليهم .

فكان المنهج من ذلك الكتاب في تلك الناحية ، أن أمضى أقص على الناس
قصة رسول الله ، في صدق وصناء ، وهي بذلك خير رد على هؤلاء ، وخير دليل
على عظمة رسول الله .

وهذا الأسلوب هو أقوى دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فما عليك إلا أن تجل حياه للناس ، حتى إذا تلالأت في السماء وقف أعداؤه
ينظرون إليه وقد بهرتهم أنواره العالية .

فأنا لا أتعب نفسي ، ولا أتعب الناس معي ، في الرد على المستشرقين ،
أو الرد على أعداء الدين ، أو الرد على اللعدين ، أو الرد على المنزولين
من المسلمين .

ولكن أقول لهؤلاء وهؤلاء ، هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا
رسول الله ، هذا هو - بنير « رتوش » أو نقص ، أو زيادة - فهل تنفمون منه
من شيء ؟ وهل تميون منه أسماً من الأمور ؟ .

فسبقولون : ما عهدنا عليه إلا حيراً .

فأقول لهم : فذلك الذي تقولون فيه ما ليس فيه .

ولست أريد من ذلك اللعيب أن أقول بإهمال الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أريد أن أقول : إن ذلك منهي عن هذا الكتاب وحده .

وليس يمنع - بعد ذلك - أن أكتب كتاباً مستقلاً في الدفاع عن رسول الله ودحض الشبهات التي ألقاها المجرمون من حوله .

بل إنى لأقول ، إن ذلك الدفاع لازم وفرض عين على كل مسلم ، أن يدافع عن رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولكنى حريص في هذا الكتاب ، أن أبرئه من القيل والقال وسكثرة السؤال ، وأن أجعله يجرى إلى القلوب جريان الماء الطيب إلى جوف الظمآن .

فلى الذين يريدون القيل والقال ، والرد ، والسؤال ، أن يلتصقوا بذلك في غير هذا الكتاب .

أما الذين يريدون رسول الله وحده ، فإنهم واحطوه في هذا الكتاب ، وقلروا بين شأناه .

وتقد اضطربت اضطراباً كبيراً ، وأنا أقدم للكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هل أكتب عنه كما يكتب للتورخون ، كتاب وقائع وهدائع وصانيع ، ليس فيها من آثار الروح والمخاطبة من شيء ؟

أم أكتب عنه كتاب إيمان وتصوف ، وحب وتدين ؟

فما وجدت لأتجاه منها من علم ، وما وجدت لطريق منها من مذاق .
فكيف السبيل إذا ؟

كيف السبيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

هل أكتب عنه قصة ... نعم إن حياته أروع قصة ... ولكنه أعظم من
أن يكون قصة ؟

هل أكتب عنه كتاباً في التاريخ ... نعم هو أعظم ما عرف التاريخ ...
ولكنه أسمى من أن يكون تاريخاً ؟

هل أحرر للناس سيرته ... نعم إن له لسيرة كالفناس سيرة ... ولكن
سيرته شيء غير ما ألف الناس من سير ؟

فما كان جواب نفسي إلا أن قالت : دعني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ...
وحل بيني وبينه ... وسرف أقول عنه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،
ولا خطر على قلب بشر !

ولم أداني قلبي : حطم القيود ، ودمر السدود ، واثركي ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وسوف أعبر عنه التعبير الذي أحبه ، ولا أستطيع أن أقوله إلا
إذا كنت حراً محرراً .

واستمت إلى لقاء نفسي ، ونسجت إلى ملجأ قلبي ... وقلبت توجهمي في
السماء ... حائراً . . .

فلما تبين أنه الحق . . . وانشرح له صدري ، وقرت به عيني ... كنت ممن
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لا أريد أن أكتب تاريخاً ، ولا تحميلاً ، ولا قصة ، ولا سيرة ، ولا ملحقاً
ولا نقلاً ، ولا تبويهاً .

وسكن ما أحبه كرجل يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن ما أعتقد أنه الحق من قصة محمد صلى الله عليه وسلم .

كل ذلك في إطلاق وابشاق ...

إطلاق لا يتبدد إلا النص الهاوي الذي لاسميه هيد .

وابشاق لا يمس به ظلام الألفاظ ، ولكن يسيه نور اليقين ، وحب الشخصية المكتوب عنها .

إطلاق ... وابشاق .

وهذا هو الأسلوب من ذلك الكتاب .

والله أسأل أن يجعله شيئاً لديه مرمياً ، وأن يخطه إلى قلوب الناس معجلاً
مكرماً .

خود بناني

الطبعة في { ١٣٨٢ هـ
١٩٦٦ م

مَاذَا قَبْلَ الْبُعْثَةِ؟

متى ولد؟

يوم الاثنين . من شهر ربيع الأول ... في الثاني عشر من ذلك الشهر .
وصعته أشرف عقبة في قريش ، آمنة بنت وهب .
وصعته يثيبا !! .

تد توفى أبوه ، عبد الله بن عبد المطلب ، وهو حين في بطن أمه ! .

ذلك أن عبد الله خرج إلى الشام ، إلى عره ، في عسير من عيران قريش ،
عحمونه تحارات ، هرعوا من تحاراتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة .. وعبد الله
ابن عبد المطلب يومئذ مريض . فقال : أتخلف عبد أحوالي بني عبدى من اسجار .
فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه ، فقدموا مكة ، فألم عبد المطلب عن
أبيه عبد الله ، فقالوا : جلدته عند أحراره بنى الجزار ، وهو مريض . فمات إليه
عبد المطلب أكر والده ، الحارث ، فوحده قد توفى ودفن في دار الناعة فخرج
إلى أبيه فحبره . فحزن عبد . عبد المطلب وإخوانه وأحواله حزناً شديداً ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حين ، وبعد الله بن عبد المطلب يوم توفى
خمس وعشرون سنة .

تد توفى أبوه وهو حين في بطن أمه . وهذا أبلغ اليتيم وأعلى مراتبه .

وكان ذلك أول بلا . واجه الصعل الوليد ... وإن كان لا يدري شيئاً عن
تلك المعاني .. إلا أن المفادير كانت تدرى ، وكانت تؤهل لأمر عظيم ! .

وألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً . ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم
والسمى ، في الصورة والمعنى .

وشق له من اسمه ليحله . فذو العرش محمرد وهذا محم

من اليتيم ؟

عن حليمة بنت الحارث أمها قالت : قتلتم مكة في نسوة من بني سعد
 ثلثس بها الرضماء ، في سنة شهباء ، قتلتم على أمان لي قراء كات أذمت^(١)
 بالركب ، ومضى صبي لنا ، وشارف لنا ، والله ما بيني بنظرة ، وما سام ليلنا
 ذلك أجمع مع صبينا ذلك ، ما نجد في ندي ما بيني ، ولا في شارفنا ما بيني .
 ولكنا كما نرجو الميت والفرج ، نخرجت على أمان تلك ، فلقد أذمت بالركب
 حتى شق ذلك عليهم ، ضعفاً ومجماً ، قتلنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا
 وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأناه ، إذا قيل إنه يتيم تركله .
 فماذا عسى أن تصنع إلبا أمه ؟ - إنما نرجو المعروف من أبي الولد ، فأما أمه
 فإذا عسى أن تصنع إلبا ؟ - فوالله ما بيني من صواحي امرأة إلا أظنت رصيماً
 عيرى . فللم بعد غيره ، وأجمعنا لانطلاق قتلنا زوجي الحارث بن عبد العزى ،
 والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معي رصيغ ، لأطلقن إلى
 ذلك اليتيم فلا أخذه . قال : لا عليك أن تقلى ، فمضى أن يجعل الله لنا فيه خيراً
 وهديت ، فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أنى لم أحد غيره ، فها هو إلا أن أخذته ،
 فحنت به رحلى ، فأقبل عليه ثديي بما شاء من لبن ! - فشرب حتى روى ،
 وشرب أخوه حتى روى ! - وقام صاحبي إلى شارفنا تلك ، فإذا إلبا لحافل ،
 حليب ما شرب ، وشربت حتى روي . فما عبر ليله ، فقال صاحبي حين
 أصبحنا : يا حليمة . . . والله إنى لأراك قد أحدثت سمة ماركاة . ألم ترى
 ما بيننا من الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ فلم يزل الله عز وجل
 يريدنا خيراً ، ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله قطعت أمانى بالركب
 حتى ما يتعلق بها مخار ، حتى أن صواحي ليقطن . ويهلك يا بنت أبي ذؤيب .

(١) أي حادى بما تقدم عليه

هذه أمانك التي خرجت عليها معنا ؟ ! فأقول : سم ، والله إنها لي . قلن :
والله إن لها لنا . حتى قدمنا أرض بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله
أجذب منها ، فإن كانت غني تسرح ، ثم تروح شباعاً لنا ، فنحلب ماشئنا ،
وما حوالياً أو حولنا أحد يضر له شاة قطارة لبن ، وإن أغنامهم لتروح
جباعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم . وعحكم ، انصرفوا حيث تسرح عم بنت
أبي ذؤيب ، فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غني حيث تسرح ، وتروح
أغنامهم جباعاً ما يبيع قطارة لبن ! . وتروح أغنامي شباعاً لنا ، نحلب ماشئنا
فلم يزل الله يرينا البركة يشرفها حتى بلغ سنتين ، فكان يشب شباباً لانشبه
النفسان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً يقوى على الأكل . فلما به
على أمه ، ونحن أصغر شيء به ، مما رأيت فيه من البركة . فلما رأته أمه ، قلت
لها . دعينا نرحل بابنا هذه السنة الأخرى ، فإن نحشى عليه وباء مكة . فوالله
مارلنا بها حتى قالت سم . .

عودة الطفل إلى أمه

وعاد حبلى حليمة بالصبي حيث كانت قيم . . ثم أعادته إلى أمه بعد شهرين .
أو ثلاثة . . .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة ست وحب ، وحده .
بعد النصب في كلاله الله وحطه ، بذنته الله بباءاً حساً ، لا يريد به من كرامته .

ولكن الأم تموت !

فلما بلغ ست سنين . . .

ماذا حدث لليتيم الصغير ؟ .

قامت آمنة بنت وهب به على أحواله من منى السفر بالمدينة . . فترى .

ثم ماذا ؟

- ثم ماتت أمه وهي راحمة به إلى مكة ، ماتت بالأواء .
- وتوفيت أمه آمنة بنت وهب ، وهو ابن ست سنين .
- وصار الصبي اليتيم لطيفاً . . . فأنشأ لأبيه . . .

عبد المطلب يكفله

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم ، بعد موت أمه آمنة بنت وهب .

فكان يرصع لبعد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بيته إجلالاً له .
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ، وهو علام قوي ، حتى يجلس عليه .

فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيفعل عبد المطلب ، إذا رأى ذلك منهم :
دعوا ابني فواءه إن له شأنًا .

ثم يعاسه معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .
ورق عبد المطلب عليه رقة لم يرقها على ولده .

وكان يقره منه ، ويدنيه ، ويدخل عليه إذا حلا ، وإذا نام .
فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياتك

ثم مات عبد المطلب ، ودفن بالمحزون .
وكان صلى الله عليه وسلم وقتئذ ابن ثمان سنين .

أبو طالب يكفله

فلما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان يكون معه

وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده !

وكان لا ينالم إلا إلى جنبه !

ويخرج فيخرج معه .

وكذلك جسد الله حب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً في شعاف
قلوبهم ، وأبقى عليه محبة منه ، فما رآه عبد المطلب إلا أحبه ، وما رآه أبو طالب
من بعده إلا أحبه حباً شديداً .

بحيرى الراهب

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام .

فلما نهيا للرميل ، وأجمع المسير ، صَبَّ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فرقَّ له ، وقال أبو طالب : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً .

فخرج به معه ، فلما نزل الركب نُصِرَ من أرض الشام ، وبها راهب يقال

له بحيرى في صومعته له ، وكان إليه علم أهل الصراية ، ولم يزل في تلك الصومعة

مند قط راهب إليه ، نصير علمهم عن كتاب فيها ، يوارثونه كابراً عن كابر

فلما نزلوا ذلك العمام يبحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ،

فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العمام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته

سمع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - بما يرغون - عن شيء رآه وهو في صومعته :

يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب حين

أقبلوا وعلمة تظله من بين القوم .

(١) ص ب ه : أخذ به إليه ، ووزن قلبه له .

ثم أقبلوا فدخلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فظفر إلى الغمامة حين أظلت
الشجرة ، وتهمرت^(١) أعصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بجري نزل من صومته ، ثم أرسل إليهم ، قال : إني قد
صنعت لكم طعاماً بامشر قریش ، فأتانا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم
وكبيركم ، وعبدكم وحرکم .

قال له رجل منهم : والله ، يا بجري ، إن لك لثأناً اليوم ، ما كنت تصنع
هنا بهما ، وقد كما نمر لك كثيراً !! فما شألك اليوم ؟

قال له بجري : صدقت ، قد كان ما تقول : ولكنكم صيفت وقد أحيت
أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلکم .

فاجتمعوا إليه ، وتحلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم ،
لحدائنه سه ، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من الميرثتنا عشرة
سنة ، تخلف في رجال القوم تحت الشجرة .

فلما نظر بجري في القوم ولم ير الصعة التي يبرف ويعد عنده قال : بامشر
قریش ، لا يتعلقن أحد منكم عن طعامي .

قالوا له : يا بجري ، ما تخلف عنك أحد ينبي له أن يأتيك إلا غلاماً وهو
أحدث القوم سناً ، فتخلف في رحلم .

قال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

قال رجل من قریش مع القوم : واللوات والعروى إن كان للؤم سناً أن
يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيتنا ، ثم قام إليه فاحتضنه
وأجله مع القوم .

(١) تهمرت : ماتت وفقدت .

قد رآه بحيرى جعل بخطه خطاً شديداً ، ويطر إلى أشياء من حسده ،
وقد كان يجعلها عنه من صفته .

حتى إذا فرغ القوم من طعاهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى فقال له : يا علام ،
أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

ولما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يخلفون بهما .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تأتى باللات والعزى
شيئاً ، فوالله ما أنصت شيئاً قط لمصنهما » .

فقال بحيرى : فوالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

فقال له : « سلقى عما بدا لك » .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهنئه ، وأمره .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخسره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى
من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صممه
التي عنده .

فما فرغ أقبل على عما أرى طالب فقال له : ما هذا اللام منك ؟

قال : أبى .

قال له بحيرى : ما هو بابك ، وما ينق هذا اللام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن أحمى .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات وأمه حبل به .

قال : صدقت ... فارحم ابن أحميك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله
لئن رأوه وعرفوا منه ما عرف يسفقه شراً ... فإنه كأن لابن أحميك هذا شأن
بشليم ، فأسرع به إلى بلاده .

فخرج به عما أبو طالب سرياً ، حتى أقدمه مكة ، حين فرغ من تجارتها بالشام .

الأمين

ولقد شب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى بكلوه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حياءً ، وأحسنهم حواراً ، وأعظمهم خلقاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً ، وأصدقهم من النجس . والأخلاق التي قدس الرجال برؤاها وبكرامتها ، حتى ما اسمه في قومه إلا «الأمين» لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

يشهد حرب الفجار

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة ، هاجت حرب العيص بن قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة أجار لطيفة^(١) للنعمان بن المنذر . فقال له البراء بن قيس : أعجبها على كنانة ؟ قال : نعم ... وعلى انطلق كله .

فخرج فيها عروة ، وجرح البراء يطلب غنمته ، حتى إذا كان بالمالية عجل عروة ، هوشب عليه البراء ، فقتله في الشهر الحرام ، فذلك سمي العيص ، لأنه كان قتلاً في الشهر الحرام ، فنجسوا فيه جميعاً .

فأتى آت قريش هال : إن البراء قد قتل عروة ، وهم في الشهر الحرام يعكافون . فارتحلوا وهوازن لا تشرب بهم ، ثم بعهم الخير ، فأنعروهم ، فأدركهم قتل أن يدخلوا الحرم ، فاقصوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن . ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً ، والقوم منسندون - أي ليس لهم أمير واحد يحممهم - على كل قبيل من قريش وحكامة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

(١) الطيفة : الجمال التي تحمل للمك ، وإبانتها . أن يكون لها حراً ضمير الصدى إليها .

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، أخرجه أعمسه معهم .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أنزل على أعمى » ، أي
أرد عنهم قبل علوم إذا رموم بها .

يتزوج

هذا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم حساً وعشرين سنة تزوج حديجة
بنت خويلد .

وكانت حديجة امرأة ناعرة ، ذات شرب ومال ، تستأجر الرجال في ماها ،
وتضاربهم إياه شيء . فجعله لهم .
وكانت قريش قوماً تجاراً .

فها معها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلعها : من صدق حديثه ،
وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرست عليه أن يخرج في مالها إلى
الشام ناعراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع علام لها يقال
له ميسرة ، قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم معها ، وخرج في مالها ذلك ،
وخرج معه علامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

ثم راع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلطته التي خرج بها ، واشترى . ثم
قبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة .

وحطها ميسرة عن شمالك ومكأرمه .

وكانت حديجة امرأة حارمة شريفة لبيبة .

فها أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له : يا ابن عمي ، أي قد رعبت فيك ، قرأنتك ، وشرقت في قومك ،
وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

ثم عرست عليه معها .

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ،
وأكثرهن مالا .

كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .
فلما قالت ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه
عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه ، فزوجها .
وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة .
وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج
عليها غيرها ، حتى ماتت رضى الله عنها .

فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولد كلهم إلا إبراهيم .
ولدت له القاسم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .
وأكبر نبيه القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ،
ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

فأما القاسم والطيب والطاهر فهكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهن
أدركن الإسلام فأسمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

وأما إبراهيم فأمه مارية ، التي أعطاها إليه العوقس صاحب أسكندرية .
وكلن عمر خديجة حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين
سنة ، وقيل خمساً وعشرين سنة .

يحتكمون إليه

فما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش
لبنيان السكبة .

فلما تم لهم هدمها ، جمعت القبائل من قريش الحطارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع
على حدة ، ثم يبروها ، حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود ، فاحتضموا فيه .

كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا ،
وتحالفوا ، وأعدوا القتال .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إجماعوا في السعد
وتحاوروا ، وتناصفوا .

قال أبو أمية بن المغيرة ، وكان علمئذ أسد قريش كلها : يا معشر قريش
اجعلوا بينكم ، فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يسمى
بينكم فيه ... فطوا .

فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .

فلما انتهى إليه أخبروه الخبر .

قال صلى الله عليه وسلم : « هلمُّ إلى ثوباً » فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود
فوضع فيه يده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة باحية من الثوب ، ثم ارفضوه
جميعاً ، ففعلوا ، حتى إذا بللوا به سرحه وضعه هو بيده ، ثم بي عليه .
وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه
بوحى « الأمين » .

وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله إلى الناس كافة .
حياء هادئة صافية .

فهو ابن الصحراء ، نشأ فيها أصولاً وفروعاً .

والصحراء تطبع أهلها بالصفاء ، وتفرس في أبنائها حب الحرية ، وحب
الشجاعة ، وحب الكرم ، وحب السخاء .

هذا من ناحية البيئة التي نشأ فيها .

أما عن السلالة فهو ابن إبراهيم خليل الله ، ابن إسماعيل ذبيح الله ، ابن
عزير سادة العرب ، ابن بني هاشم سادة قريش .

ومنى اجتمع للسان كرم الأصول ، وكرم المبت ، فهو الشجرة الطيبة
في الأرض الطيبة .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ، يصنع صلوة خاصة
على عين ربه عز وجل .

فما من شيء يؤدي إلى حاله وكاله إلا أخذ به ربه إليه .
وما من شيء يقربه من الإساءة ، ويباعده من الكبر والجبروت ، إلا سلكه
الله به إليه سبيلا .

هذا أبوه يموت وهو جنين في بطن أمه .
ثم هذه أمه تموت وهو ابن ست سنين .
فيجتمع عليه من فقهه وموتها يتان آلمان .
والنفس إذا تمحرن تفكر وتعمق تفكيرها ، فتبتدى من حزنها إلى حقائق
كائناتها لاهية .

ليس هذا وحده ، وإنما هناك بعد ذلك موت جده عبد المطلب ... فما بلغ
صلى الله عليه وسلم ثمانين سنة حتى ذهب عبد المطلب إلى ربه .
فتقد محمد صلى الله عليه وسلم عمته حذاراً صحباً كان يسند ظهره إليه .
ولم يقف ابتلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، وإنما ساقه القدر
إلى كعالة عمه أبي طالب الرجل الفقير ذي المال !

فألم صلى الله عليه وسلم ، وتعلم ، ولكنه لم يتكلم .
تلم أن في الحياة آلاماً لا يمتزق بنارها إلا من اصطلاها وعانها .
وأن فيها طروقاً هي أشق على النفس من لقاء الموت .
ولقد كان لازماً ، وحباً مقصياً ، أن يمر محمد صلى الله عليه وسلم بتلك التعارب .
وكان ذلك هو التمهيد لنبأ إنسانيته الأولى قبل النبوة .

البعثة

فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة ، بعثه الله تعالى
رجة للمالين ، وكافة للناس بشيراً .

وكان الله سارك وتعالى قد أخذ ميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ،
والتصديق له ، والنصر له على من خالفه .

وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فادّوا من
ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَآ آتِيَنَّكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكِيمٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ وَأُخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ ، ضَرِي) أى : ثقل
ما حملتكم من عهدى (قَالُوا قَرِزْ ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) .

فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدوا
ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين السكتين .

بدء الوحي

وكان أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، الرؤيا الصادقة .
لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في يومه إلا جاءت كعلق لصبح .
وحجبه الله تعالى إليه الخلو ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يحو وحده .
وكان إذا خرج لحاجته تمد حتى تعد عنه البيوت ، وبعضه إلى المواضع
الحفية بن حبال مكة ، ويطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله

فينت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله ، وعن يمينه ، وشماله ، وحده ،
فلا يرى إلا الشجر والحجارة .

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن
يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله ، وهو حراء في شهر رمضان .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسكف في حراء من كل سنة شهراً .
وكان ذلك مما اعتبده به قريش في الجاهلية .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسكف ذك الث شهر من كل سنة ،
يطعم من جاءه من الساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حواره من شهره ذلك ، كان أول
ما يبدأ به - إذا انصرف من متسكفه - لكفة ، قبل أن يدخل بيته

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراه من كرامته ، من
لسته انتى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لمتكفه ...

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالته ، ورحم اليباد بها ، جاءه
جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما نى جبريل وأنا نأتم سقط من ديباج
فيه كسب ، فقال : اقرأ ، قال قلت : ما أقرأ ، قال : فتسنى^(١) به حتى ظننت
أنه لموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قال قلت : ما أقرأ ، قال : فتسنى به
حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قال قلت : ماذا أقرأ ، قال
تسنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قال قلت : ماذا أقرأ
- ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يموت في مثل ما صعب في - فقال : اقرأ ، باسم
ربك الذى خلق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * قال فتأتمها ، ثم انتحى فانصرف عني ، وهبت
بالريح * علم الإنسان ما لم يعلم * قال فتأتمها ، ثم انتحى فانصرف عني ، وهبت

(١) غنى - عصفور عصفراً غديداً حتى وجدت منه الثقة ، كما يجد من يمسى الماء نهراً

من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً ، قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسطه
من الخيل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ،
قال : رفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قلمي
في أفق السماء ، ويقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فوقف أنظر
إليه ، فما أتقدم وما أتأخر ، وجمعت أعرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال :
فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتك كذلك ، فارت واقفاً ما أتقدم أمأى
وما أرجع ورائي ، حتى تمت خديجة رسلها في طلي فلبثوا على مكة ورجعوا
إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني ، وانصرفت راحماً إلى
أهل : حتى أتيت خديجة : فقلت لي خديجة مضيعة^(١) إليها : قالت : يا أبا القاسم ،
أيس كنت ؟ ، فوالله لقد بعثت رسل في طليك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي .
ثم حدثتها بالذي رأيت ، قالت : أشير يا ابن عم وأنت . فوالذي نفس خديجة
بيده إنني لأدحو أن تكون هي هذه الأمة .

ثم قامت فحمت عليها ثيابها : ثم اطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد المطلب بن قصي وهو ابن عمها : وكان ورقة قد نصر : وقرأ الكسب وسمع
من أهل النوراء والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه رأي وسمع .

قال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس : والذي من ورقة بيده لئن كنت
صدقي ياجديجة : لند جاءه السماوس^(٢) لا كبر الذي كان يأتي موسى ، وإياه
لنبي هذه الأمة : فقول له فليثبت .

مرجت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته به فله وره بن نوفل .
وفي رواية البخاري : . . . فرجع^(٣) به رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مضيعة : مفضلاً بها مثلاً إليها . (٢) السماوس : الملك الذي جاءه بالرحي

(٣) فرجع بها : الركلت التي ألأها إليه الملك .

يرجف نواذه ، فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملوني زملوني ، فزملوه ،
حتى ذهب عنه الروح . قال لخديجة ، وأحبرها الخبر : لقد حشيت على نفسي .
قالت خديجة كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتقرى^(١)
الضيء ، وتحمل^(٢) الكل ، وتكسب^(٣) للمعصوم وتعين على نوائب الحق^(٤) .
فاطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل . . .

أول من آمن

نصى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقى من نومه
من اختلاف والأذى .

وآمنت به خديجة ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته عن أمره .
وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاءه ، تخفف الله بذلك
عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

لا يسمع شيئاً مما يكرمه ، من رد عليه وتكذيب له ، فيحربه ذلك إلا فرج .
الله عنها إذا رجع إليها : ثبتته ونحفت عليه ، وتصدقته ، وتهون عليه أمر الناس .

فقر الوحي

ثم فقر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك ، حتى شق
ذلك عليه فأحزنه .

فجاءه جبريل بسورة الصبح ، يقسم له ربه — وهو الذي أكرمهم بما
أكرمهم به — ماودعه ربه وما تلاه ، قال تعالى : (والصبح — والليل إذا سجي .

(١) تقرى : تكرر .

(٢) يحمل : يطعن الفقير ما يريجه من ثقل تكاليف دياره .

(٣) وكسب : تبادر إلى إعطاء الفقير .

(٤) إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعان فيها ، وقت مع صاحبها حتى يجد نواصيه

ماودعك ربك وما قلى) يقول : ما ضرمتك فتركك وما أبغضت منذ أحبك
(والآخرة خير لك من الأولى) أى : لما عندى فى صرجمك إلى خير لك مما
هملت لك من الكرامة فى الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) من الظهور
والعصر فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة (ألم يحذك بنينا فأرى . ووجدك ضالا
فهدى . ووجدك عائلا فأغنى) يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامات فى عاجل أمره ،
ومنه عليه فى تتمه وفقره وصلاته واستغاده من ذلك كله برحمته (فأما اليتيم
فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر) أى لاتسكن جبداً ، ولا متكبراً ولا غشياً ،
فقطاً على الصعاء من عباد الله (وأما بعمة ربك فحدث) أى : بما جاءك من الله
من نعمته وكرامته من النبوة ، فحدث . أى اذكرها وادع إليها .
لحل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى البدار
من النبوة سرّاً ، إلى من يطلعن إليه من أهله .

بداية فرض الصلاة

وافترضت عليه الصلاة ، فعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
افتترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افتترضت عليه
ركعتين ركعتين كل صلاة .
لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فتوصاً لها ببريها كيف انظهور
للصلاة كما أراه جبريل : فتوصات كما توصاً لها رسول الله عليه السلام ، ثم صلى
بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل ، فصلت نصلاته

أول من آمن من الصبيان ؟

نعم كان أول ذكر من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه
وصديق به حاد من الله تعالى على بن أبى طالب .
وهو ابن عشر سنين يومئذ ، وكان بما أسم الله على بن أبى طالب وصلى
الله عنه أنه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

أبو طالب يفاجئهما يصليان !

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستجباً من أبيه أبي طالب ، ومن جمع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رحبا .

فكنا كذلك ماشاء الله أن يكتنا .

ثم إن أبا طالب عثر عليها يوماً وهما يصليان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : هـ : أي عم هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسوله ، ودين أبيينا إبراهيم هـ .

فقال أبو طالب . أي ابن أخي ، إني لأستطيع أن أطارق دين آبائي ، وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخص إليك بشي . تكرهه ما بقيت .

وقال أبو طالب لعلي : أي بني : ما هذا الدين الذي أتت عليه ؟ .

فقال : يا أمت آمنت بالله ورسول الله ؛ وصدقت بما جاء به ؛ وصليت معه لله ؛ واتمته .

فقال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير ؛ فالزمه .

اسلام زيد بن حارثة

ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب .

اسلام أبي بكر

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة .

فما أسلم أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله . وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، مُحْتَسَباً سهلاً وكان أسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر .

وكان رجلاً تاحراً ذا خلق ومعرفة .
وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعله ، وتجارته
وحسن محالته .

فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يسه
ويجلس إليه

فأسلم بدعائه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فأتاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استعابوا له ، فأسلموا
وصلوا .

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين أسلموا بالإسلام .

فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

السابقون الأولون

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سبرة ، والأرقم بن أبي الأرقم
وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة وعبد الله ابننا مظعون ؛ وعبيدة ابن الحارث ،
وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وأسما
بنت أبي بكر ، وعاتكة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وحباب بن الأرت .
وأسلم عمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ،
ومسعود بن القاري .

وأسلم سليط بن عمرو ، وأخوه حاطب بن عمرو .

وعياش بن أبي ربيعة ، وامراته أسماء بنت سلامة .

وخنيس بن حذافة ، وعامر بن دبيعة .

وعبد الله بن جعش ، وأخوه أحمد بن جعش .

وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عميس .

وحاطب بن الحرث ، وامراته فاطمة بنت الحنظل ، وأخوه حطاب بن الحرث ، وامراته فسكية بنت يسار .
ومعمر بن الحرث ، والسائب بن عثمان ، والطلب بن أزهر ، وامراته رمة بنت أنى عوف ، ونعيم بن عبد الله ، وعامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

وخالد بن سعيد بن العاص ، وامراته أمينة بنت خلف .
وحاطب بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وواقد بن عبد الله .
وخالد وعامر وعافل وإياس ، بنو السكندر بن عبد ياليل .
وأسلم عمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان .
ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا^(١) ، من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به .

الجهنم بالدعوة

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبلي الناس بأمره ، وأن يدعو إليه .
وكان بين ما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستقر به ، إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبته .
ثم قال الله تعالى له . (فاصدع^(٢) عَانُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)
وقال تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاحْنِصْ حَفَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) .

أول دم في الإسلام

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب ، واستخفوا بصلاتهم من قومهم

(١) طائفة بعد طائفة . (٢) يفرق بين الحق والباطل .

بينما سعد بن أبي وقاص في غر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
ويبلغ في شغب من شغب مكة إذا ظهر عليهم غر من المشركين ، وهم يصلون
فماكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلهم .
فغضب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين مظنة بسير فضجه
فكان أول دم أهرق في الإسلام .

بدء الصراع

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره
الله ، لم يعط منه قومه ، ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها .
فلما فعل ذلك أعظموه ، وناكروه ، وأجمعوا خلاه وعداوته .
إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ؛ وهم قليل مستحقون .
وعطف على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنته ، وقام
دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مُطهرًا لأمره لا يرد
عنه شيء .

طهارأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحبهم من شيء .
أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم . ورأوا أن عمه أبا طالب قد عطف
عليه ، وقام دونه فلم يسمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب .
فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أهلك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسف
أحلامنا ، وضل آباءنا ، فيما أن تكف عنه وإما أن تُحلى بيننا وبينه فإنك على
مثل مانحن عليه من خلاه ، فنكفك .

فقال لهم أبو طالب قولا رقيقًا ، وردهم رجاءً جيلًا ، قائمرفوا عنه .
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه .. يظهر دين الله ، ويدعو
إليه ، ثم راد الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال ، وتصاعوا ، وأكثرت
قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها .

وتدأمرُوا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم قشوا إلى أبي طالب مرة أخرى .

فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سماً وشرفاً ومزلةً بيننا . وإنا قد استأنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصير على هذا من شتم آبائنا ، ونفقه أحمالنا ، وعجب آلها ، حتى نكف عن أو سره وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين .

ثم انصرفوا عنه . . .

فظم على أبي طالب تراق قومه وعداوتهم ، ولم يطلب عساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، ولا خذلانه .

لو وضعوا الشمس في يميني ؟

ثم إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوا فقالوا لي كذا وكذا ، فأبى عليّ وعلى نفسك ، ولا تحملي من الأمر مالا أطبق .

فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا له فيه بداء ، وأنه خادله وتكلمه ، وأنه قد صنف عن نصرته والقيام معه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمّ والله ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يسري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يطعمه الله أو أهلك فيه متركته » .

ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكى . . . ثم قام . . .

فلما ولى . . . ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي ، هل ما أحببت فوالله لا أسخطك لشيء أبداً .

أسلم إلينا ابن أخيك !

ثم إن قريشاً — حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم — مشوا^١
بمارة بن الوليد بن الفيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أقوى قتي
في قريش وأجمل ، تقدمه تلك دينه إذا قتل ونصره ، واتخذ ولداً فهو لك ،
وأسلم إليا ابن أخيك ، هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة
قومك ، وسعه أحلامهم فقتله ، فيما هو رجل برجل .

قال : والله ليس ماتسو موسى ! . أنعموني ايكم أغنوه لكم ، وأعطيك
ابى تقتلونه ؟ . هذا والله مالا يكون أبداً .

قال المظعم بن عدى . والله يا أبا طالب لقد أنصبتك قومك ، وحدها على
التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً .

قال أبو طالب للمظعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمت خذلانى
ومظاهرة القوم على ! فاصنع ما بدا لك .

فاشتد الأمر ، وحيت الحرب ، ورك القوم ما كان بينهم من عهد ، ونادى
بعضهم بعضاً .

بنو التعذيب !!

ثم إن قريشاً تذامرُوا بينهم على من في القاتل منهم من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه .

فونست كل قبيلة على من بينهم من المسلمين .. يعذبونهم ، ويعسوتهم عن دينهم .
ومع الله رسوله صلى الله عليه وسلم معهم بعه أبى طالب .

وقد نام أبو طالب . حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون .. فى بنى هاشم
وبنى المطلب ، فدعاهم إلى منعه عليه من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه . وأجابوه إلى مدعاهم إليه
إلا ما كان من أبى هب ، عدو الله اللعن .

ماذا نقول في محمد ؟

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نهر من قريش ، وكان ذا سن فيهم وقد حصر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولكم عنه بعضاً .

قالوا : فأت يا أبا عبد شمس ، قل وأقيم لنا رأياً قل به .

قال : بل أنتم قولوا أسمع .

قالوا : قول : كاهن .

قال : لا والله ، ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمرة الكاهن لا سخمه .

قالوا : فنقول : محزون

قال : ما هو بمحزون ، لقد رأينا الجنون وعرقاه ، فما هو بحمته ، ولا تحالجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر .

قال : ما هو مشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رحره وهزجه وقرينه ومقبوضه ومسوخه ، فما هو بالشعر

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرم ، فما هو بنسبهم ولا عقدهم .

قالوا : فما قول يا أبا عبد شمس ؟ ؟

قال : والله إن لقوله خلابة ، وإن أصله لصدق^(١) ، وإن فرعه الجنة^(٢) ، وما أنتم بمائلين من هذا شيئاً إلا عرّف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لأن

(١) الصدق - الكبير الخصب والأمراف . (٢) الجنة - به تمر بهي .

قولوا هو ساحر ، جاء بقول هو ساحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .
فتعرفوا عنه بذلك ، فاجعلوا يمشون بسبل الناس - حين قدموا الموسم -
لا يجر بهم أحد إلا حذروه إياه ، ودكروا لهم أمره .

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : (ذرف ومن
حلق وحيداً - وحملت له مالا محموداً - وبين شهوداً - ومهلت له تمهيداً ثم
طلع أن أريد . كلا إنه كان لأيتنا عنيداً) أى : خصياً . (سار هفه صوحاً .
إنه فكر وقدر . هتئين كيف قدر . ثم فتن كيف قدر . ثم نظر . ثم عسى وأسر)
سر . كره وحبه . (ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا
إلا قول البشتر)

وأمر الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى ،
وفي العرب الذين كانوا معه ، يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما
جاء به من الله تعالى (كما أرسلنا على المغيثيين - الذين حملوا القرآن عبيد)
بعض أصنافاً (مريبك ثلثاً لهم أجمعين . عما كانوا يعملون) م

فحمل أولئك العرب يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمن لغوا
من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

فما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب وبلغ اليقظان
ذكره بالمدينة .

ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين
ذكر ، وقبل أن يذكر ، من هذا الحي من الأوس ، والمزرج ، وذلك لما
كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حقاء ، وسهفي بلادهم .

إيذاء رسول الله

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأعزّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنيهم ، فكذبوه . وآذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر والكهانة والجنون .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرٌ لأمر الله ، لا يستخفى به ، مبدئ لهم بما يسكرون : من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، ورافقه إياهم على كرم . وكان أشد ما تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبته وآذاه ، لاسر ولا عبد .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمْ فَاذْكُرُوا) .

اسلام حمزة

مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونزل منه بعض ما يسكره ، من العيب لدينه ، والتصنيف لأمره .

فلم يسكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجارية لبده الله بن خديجة في مسكن لها تسع ذلك .

ثم انصرف عنه ، فعند إلى نكاح من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قصف له ، وكان صاحب قصف يرميه ويخرج له . وكان إذا رجع من قصف لم يصل إلى أهله حتى ينوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نكاح من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم .

وكان أعز حتى في قريش ، وأشد شكية

فخساير بالجارية وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عمارة ، لو رأيت مالتى ابن أخيك محمد آتياً من أبي الحكم بن هشام 35

وحده مهنا جالسا ، فآذاه وسبه وبلغ منه ما يعجز عنه ، ثم ابصر عنه ، ود
يكلمه محمد !

فاحتل حمرة القصب فخرج يسي ، ولم يبق على أحد ، مُدًّا لأى جهل ،
إذا لقيه ، أن يوقع به .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه .
حتى إذا قام على رأسه رفع القوم فصر به بها فشبّه شجرة منكرة .
ثم قال : أنت شته ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فردّ ذلك على ابن استطعت .
فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمرة ليصروا أبا جهل .
فقال أبو جهل : دعوا أبا حمارة ، فإنى والله قد سميت ابن أخيه سبّا فيجأ .
فلما أسلم حمرة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمز
وامتاع ، وأن حمرة سيمعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا يثألون منه .

عرض الدنيا على رسول الله

قال عتبة بن ربيعة يوما ، وكان سيدا ، وهو جالس في نادي قريش ،
ودرسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في السعد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم
بلى محمد فأكله وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فسطيه أيها شاء ويكف عنا ؟
وذلك حين أسلم حمرة ، ورواها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزيلون ويكننون .

فقلوا : بلى يا أبا الوليد ، فم إليه فكله .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي
إئت منا حيث قد علمت : من الترة الرفيعة في العثيرة ، والمسكال في النسب ،
وبك قد أئت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفوت به أعلامهم ،
وعت به آهتهم ودينهم ، وكنعرت به من معنى من آهاتهم ، فاسمع منى أعرض
عيك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ » .
 قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا ،
 جَعَلْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَقَّ مَكْرُومٍ أَكْثَرًا مَالًا . وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَرِيدُ بِهِ شَرَفًا
 سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا حَقَّ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَكَ . وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَتَكُنَّاكَ
 عَلَيْنَا . وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي بَأْتِيكَ رَئِيًّا تَرَاهُ ، لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ .
 طَلِبْنَا لَكَ الطَّيِّبَ ، وَبَدَا فِيهِ أَمْوَالُنَا حَقَّ مُبْرُئِكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رِيْعًا غَلِبَ النَّاسَ عَلَى
 الرَّحْلِ حَقَّ يَدَاوِي مِنْهُ .

حَتَّى إِذَا فَرَغَ حَتْبَةً ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ مِنْهُ قَالَ : « أَقْبَدُ
 فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ »

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : « فَاسْمَعْ مِنِّي » .

قَالَ : أَصْل .

فَقَالَ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدٌ - تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - كِتَابٌ
 فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهُمْ
 لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرَةٍ مِمَّا نَدْعُوا بِإِلَهِ) .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَتْرُوهَا عَلَيْهِ .
 فَلَبَّ سَمْعَهَا مِنْ عَتَبَةِ أُنْصَتَ لَهَا ، وَأَلْقَى بِدِيهِ حَافَ ظَهْرَهُ ، مَعْتَدًا عَلَيْهِمَا ،
 يَسْمَعُ مِنْهُ .

ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا فَسَجَدَ ، ثُمَّ قَالَ :
 « قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ ، فَأَمْتُ وَفَاكَ » .

فَتَقَامَ عَتَبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : نَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ سَأَلَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ
 بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ !

فَلَمَّا جَسَّ إِلَيْهِمْ قَالُوا : مَا وَرَاءُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟

قال : ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني ، واحملوها بي ، وحلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه بأ عظيم : فإن نصيبه العرب قد كفيتموه نيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه منكم ، وعزه عنكم ، وكنتم أسعد الناس به .
 قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه !
 قال : هذا رأيي ، فاصنوا ما بدا لكم .

يسألون عنه اليهود !

ثم إن قريشاً بعثت النضر بن الحوث ، وعقبة بن أبي معيط إلى علماء اليهود بالمدينة .

وقالوا لها : سلام عن محمد ، وصباحكم صفة ، وأخباركم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء .
 تخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألا أخبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لم أمره ، وأخبارهم ببعض قوله .
 وقالوا لهم : إياكم أهل التوراة ، وقد حثناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فالت لها علماء اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن : فإن أخبركم بهن فهو مني مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول هروا فيه رأيكم : سلوه عن تنبيه ذهبوا في الأمر الأول ما كان أمرهم ؟ ، فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان بيؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ . فإن أخبركم بذلك فاصنعوه فإنه مني ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأتوا .. حتى قدما مكة على قريش ، فقالوا : يا معشر قريش ، قد حثناكم بعض ما يبيكم وبين محمد ، قد أخبرنا علماء اليهود أن بآله عن أشياء قد أمرونا بها :

هنا أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يبع فالرجل متبول فروا فيه رأيكم .
 جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا
 في الدهر الأول ، قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ
 حشرق الأرض ومنظرها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟
 فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبركم بما سألتهم عنه غداً » .
 ولم يقل إن شاء الله ...
 فاصرفوا عنه ...

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه
 في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة .
 وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا نغير .
 شيء - مما سألناه عنه -

وحق أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وششق
 عليه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاء جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معانيه إياه على حرته
 عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح

طاف حاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه
 فيها حدث ، وموقع بيوته فيما جاءهم به من علم العيوب ، حين سألوه عما سألوا
 عنه ، حال الحمد منهم له بينهم وبين أنساعه ونصديقه ، فتوا على الله ، وتركوا
 أمره عياناً ، وبلوا فيما هم عليه من الكفر .

فقال قائلهم : (لا تستمعوا لهذا القرآن والقرآن عليه لتسكنتم) أي
 احملوه لنواً وما ملأ ، واتخذوه هزواً لتسكنتم بذلك ، فليسكنكم إن ما طرتموه
 أو خاسمتموه يوماً عليكم .

أول من جهز بالقرآن

وكان أول من جهز بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت
فريش هذا القرآن يحبر لها به خط ، فمن رجل يسميهموه ؟
قال عبد الله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنا نخشام عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة ينمونه من النوم
إن أرادوه .

قال : دعوني ... فإن الله سيمضي .

فعدا ابن مسعود ، حتى أتى المقام في الصبح ، ففريش في أُنديتها ، حتى قام
عبد المقام .

ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) راصاً بها صوته (الرحمن - علم القرآن) ...
ثم استقبلها بقرؤها .

وتأملوه : -- فخلوا بقولهم : ماذا قال ابن أم عبد ؟

ثم قالوا : إنه لتلو بعض ما جاء به محمد .

فقاموا إليه ، فعدوا يعبرون في وجهه ، وجعل يقرأ ، حتى بلغ منها ما شاء الله
أن يبلغ .

ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه .

فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك .

فقال : ما كان أعيناء الله أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئت لأعاديتهم
ممثلها عداءً .

قالوا : لا ... حببك ... فقد أجمعهم ما يكرهون

التعذيب يشتد !

ثم إنهم عذبوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه .
فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين .

فجعلوا يحبسونهم ، ويذربونهم ، بالصرب ، والجوع ، والعش ، ورميها .
مكة إذ اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يقتلونهم عن دينهم ؛ فهم من يمتن
من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويصمه الله منهم .

أحد .. أحد !!

وكان بلال صدق الإسلام ، طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرج
- إذا حيت الظهيرة - فيطرحه على ظهره في بئاحاء معسكة ، ثم يأمر بالصخرة
الطيبة فتوضع على صدره .

ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر ب محمد وتبذل الألت والبري .
فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحد !!

حتى سر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصرون ذلك به .

فقال لأمية بن خلف : ألا تنق الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟

قال : أنت الذي أفسدته ، فأخذ به بما يرى .

فقال أبو بكر : أفضي ، عدي - لام أسود أحد منه ، وأقوى على ذلك .
أعطيك به .

قال : قد قلت .

قال : هو لك .

فأعماه أبو بكر غلامه ذلك ، وأحده فاعتقه .

صبراً آل ياسر

وكانت بنت مخزوم يجرحون بمخاريس ياسر وذنيه وأمه - وكثر أهل بيت
إسلام - إذا حبت الطهيرة ، يذوهم برمضاء مكة •
فيمر بهم رسول الله ص الله عليه وسلم يقول : « صبراً آل ياسر ،
مؤيدكم الجنة » •

فأما أمه قتلوها ، وهي تأتي إلا الإسلام •

أبو جهل يتولى الجريمة

وكان أبو جهل ، الفاسق الذي يفرى بهم في رجال من قريش
إذ سمع بالرحل قد أسلم ، له شرف ومعة ، أثب وحرأه ، وقال •
دبر أليك وهو حير منك ؟! لنسهن حذك ، ولنسهن رأيك ، ولنسهن شرفك •
وإن كان قاجراً قال ، والله لنسكن تجارتك ، ولنسكن مالك •
وإن كان صعيماً صر به وأعز به !

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما رأى رسول الله ص الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من السوء ، وما هو
فيه من الباطية ، سكا به من الله ، ومن عه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن
يمنعهم مما هم فيه من السوء ، قال لهم : « لو حرحم إلى أرض الحبشة فإن بها ما يكا
لأبطاء عدو أظن ، وهي أرض صدق ، حتى يحل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه ؟ » •
فخرج عند ذلك بطون من أصحاب رسول الله ص الله عليه وسلم إلى أرض
الحبشة : مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدسهم •
فكانت أول هجرة كانت في الإسلام •

النجاشي رفض تسليمهم !

عن أم سَعة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - قالت : لما طردنا أرمس الحنشة ، جاور ، بها خير جار ، النجاشي ، أمنا على ديسا ، وعبدنا الله تعالى لا تؤذي ولا تسمع شيئاً نكره .

فلما بلغ ذلك قريشاً اتسروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فيسا رجلين منهم جليدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا بما يستطرف من متاع مكة .

ثم عثوا يسلط عبد الله بن أبي ربيعة وعمر بن العاص ، فأسروهما بأمرهم . ثم بهما قدما هدائيهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، ثم كلاه ، فقال له : أيها الملك ، إنه قد صوي إلى ذلك منا عريان سعياء ، فارقوا دين قومهم ولم يدحوا في دينك ، وحاموا دينك اتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آباءهم وأعمامهم ، وعشائهم ، لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عاينوا عليهم وعاتبهم فيه .

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاهم .

فلما جاءوا ... وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا أناجيلهم حوله ... سلم قال لهم : ما هذا الدرس الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ !

فكان الذي كله جسر من أبي طالب فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل حامية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونألف المواش ، ونقطع الأرحام ، ونسبي الجوار ، ونأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، يعرف به صدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبدَه ، ونحلم ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحصارة والأوثان ، وأسرها بصديق الحديث ، وأداء الأمانة ، وحفظ الرحم ، وحسن الجوار ، والكف

عن المحارم والدماء ، ونهاها عن الفواحش ، ونهى الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقضى المحضنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والركاة والصيام .

— فهدد عليه أمور الإسلام — .

فصدقناه ، وآمننا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فهدانا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرماً ما حرم علينا ، وأحلنا ما أحل لنا ، فهدانا علينا قومنا فصدقونا وضمونا عن ديننا ، يردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستعمل ما كنا نستعمل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وصيقروا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سراك ، ورجعنا في جوارك ورجعونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

يقال له النجاشي : هل ملك مما جاء به من الله من شيء ؟

يقال له حنفر : نعم .

يقال له النجاشي : فاقراءه .

فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) ، فسكنه الله سبحانه حتى اخضعت لحيته وبكت أسنانه حتى اجهشوا أناحيلهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى لينزع من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ...

فخرجوا من عنده مبهوتين ، مردوداً عليهما ما جاءوا به ، وألقا عنده بخير دار مع خير جار ... حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

اسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قریش ولم يدركوا حاضروا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردهم النجاشي بما يكرهون ،

وأسلم عمر بن الخطاب ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجرة .
 وكان إسلام عمر أن أخته فاطمة بنت الخطاب - وكانت عند سعيد بن
 زيد - وكانت قد أسلمت وأسلم عليها سعيد بن زيد ، وهما مستخيان بإسلامهما
 من عمر - وكان حبيب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب بقرئها القرآن -
 فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 ورمطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب
 من أربعين من بين رجال وساء .

ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر ،
 وعلى ، في رجال من المسلمين ، ممن أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
 ولم يخرج حين خرج إلى أرض الحبشة .
 فلقبه نعيم بن عبد الله - وكان أيضاً يستعمل بإسلامه - فقال له : أين
 تريد يا عمر ؟

فقال : أريد محمداً ... هذا الصافي ، الذي فرق أمر فريش ، وسفه أنعلامها
 وعاب دينها ، وسب آلها ، فأقتله .

فقال له نعيم : والله لقد عرفت أنك نفسك من نفسك يا عمر ، أرى بني عبد
 مناف ما كيث تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك
 فتقيم أمرهم ؟

قال : ولبي أهل بيتي ؟

قال : ابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة بنت الخطاب . فقد وثقه
 أسداً ، وتابوا محمداً على دينه ، فليك بهما !

فرجع عمر عائداً إلى أخته وزوجها ، وعندها حباب منه صبيعة فيها
 (طه^(١)) بقرئها إليها ، فلما سمعوا حسن عمر قيت حباب في بعض البيت ،

وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت نعلها .

وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خيَّاب عليها ، فلما دخل قال :
هذه الهبة التي سمعت ؟ !
قالت له : ما سمعت شيئاً .

قال : بل والله لقد أخبرت أنكما تاعتما محمداً على دينه ...
وبطش بزواج أخته سميد بن زيد ، قامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب
تتكفئ عن زوجها ، فصرىها فتعجبها .
فلما فعل ذلك قالت له أخته وروحها : هم لقد أسلنا ، وآمنا بالله ورسوله ،
فما صعب علينا لك .

فلما رأى عمر ما بأخيه من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته :
أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم ترمون بها ، أنظر مله الذي جاء به محمد .
وكان عمر كاتباً .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نحمك عليها .
قال : لا تخافى ، وحلف لها بالله يبرئها إذا قرأها إليها .
فلما فعل ذلك طعت في إسلامه ، قالت له : يا أخى ، إنك تيمس على
شركك ، وإنه لا يعصها إلا الطاهر .

فقام عمر فاعتزل ، فأعطته الصحيفة وفيها (طه) قرأها .
فلما قرأ منها صدراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمهُ !!
فلما سمع ذلك حجاب حرج إليه ، فقال له : يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون
بالله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أس وهو يقول : « اللهم أهد الإسلام
« بنى الحكيم بن هشام أو يعمر بن الخطاب » فآله الله يا عمر .

فقال له عند ذلك عمر : فأتى يا حجاب على محمد حق آية فاسلم .
فقال له خيَّاب : هو في بيت عند الصفا منه فيه ثمر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشعها ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فضرب عليهم الباب .

فما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
منظر من حلق الباب ، مرآه متوشعها السيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهو فرح ، قال يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشعها السيف .
قال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان حاء يريد خيراً بذلناه له ،
وإن كان يريد شراً قتلناه سيفه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أئذّن له » فأذن له الرجل .
ونهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لقيه بالحجرة ، فأخذ بمحجزته .
أو بجميع رداءه ، ثم حبسه حينئذ شديدة وقال : « ما جاء بك يا ابن الخطاب ،
فراقه ما أرى أن كنتي حتى ينزل الله بك فارعه » .
قال عمر : يا رسول الله ، جئت لك لأؤمن بالله وبرسوله ، وبما جاء من
عند الله .

فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم !
ففرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عروا في أنفسهم
حين أسلم عمر مع إسلام حمزة .
وعرفوا أنها سبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتصرفون بها
من عنوم .

قال عمر : لما أسلمت تلك القيلة تذكرت أن أهل مكة أشد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حداوة ، حتى آتته فأخبره أني قد أسلمت ، فقلت أبو جهل ، فأقبلت
حين أصبحت حتى ضربت عليه بابي ، فخرج إلى أبو جهل ، قال : مرحباً ،
وأهلاً يا ابن أختي ، ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله

محمد ، وصدقت بما جاء به ، فصرب الباب في وجهي ، وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

مقاطعة بني هاشم وبنو المطلب

فما رأته قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمماً وفراداً ، وأن الجاشي قد منع من الجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلام يغشوا القائل اجتمعوا وانتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب : هل أن لا يسكعوا إليهم ، ولا ينكحهم ، ولا يبيعهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم .

فما احتجموا الملك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في حوب الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فما فعلت ذلك قريش انما رت بنو هاشم ، وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شيعته ، فاحتجموا إليه .

وخرج من بني هاشم أبو طالب عبد المطلب إلى قريش ، صاهم أي أعاتهم .

فما قاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا ، لا يصل إليهم شيء ، إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلته من قريش !

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه بيلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، مبدياً بأمر الله ، لا يفتي فيه أحداً من الناس .

فجئت قريش . يهزونه ويستبزون به ، ويحاصمونه ، وحمل القرآن يدرك في قريش بأخطائهم ، فمنهم من كتم ، أنا ، ومنهم من رل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار .

غودة المهاجرين

وبلع أصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة
إسلام أهل مكة ، فاقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دُتُوا من مكة بلغهم
أن ما كانوا يتحدثون به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل أحد إلا
بجوار أو مستنمياً .

نقض الصحيفة .

مشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبي أمية فقال : يا زهير ، أفقد وصيت أن
تأكل الطعام وتلبس الثياب ، وتسكح النساء ، وأحوالك حيث قد علمت ،
لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا يسكحون ، ولا يسكح إليهم ؟ أما إلى
أحف الله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك
إليه منهم ما أحببلك إليه أبداً .

قال : زعمك يا هشام !! . فإذا أصح ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله أن لو كان
معى رجل آخر لقتلنى تقضيها حتى أنتقضها .

قال : قد وجدت رجلاً .

قال : من هو ؟

قال : أنا .

قال له زهير : أيضاً رجلاً ثالثاً .

فلما تكامل الواقفون على نفس الصحيفة خفاً ، ذهبوا إلى البيت وأعلموا
بعضها .

فقال أبو جهل : هذا أمر قعبي يئيل تشووز فيه غير هذا للسكان .

الإسراء والمعراج

ثم أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد

الأقصى ، وهو بيت المقدس ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي القبايل كلها .

وكان في مسراه ، وما ذكر منه بلاه وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدي ورحمة وتبات لمن آمن بالله وصلى ، وكان من أمر الله على خين .

فأمري به كيف شاء ، وكما شاء ، يُريه من آياته ما أراد ، حتى عاين حامين من أسره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق - وهي دابة تصع حافرها في متعى طرفها - فحمل عليها ...

ففى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ...

ولما فرغ من أمر بيت المقدس ، صعد إلى السماء .
ولم يحسن الصعود على البراق كما قد يتوهم بعض الناس . بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ، ليرجع عليه إلى مكة فصعد من سماء إلى سماء حتى جاور الساعة .

وكما جاء سماء نلقته منها مقربوها ، ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .
وذكروا أعيان من رآه من الرسل ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة .

ثم جاور مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام .
ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة السحى . فإذا ورقتها كآذان الفيلة ... وعندها عند ذلك أمور عطية ، ألوان متعددة باهرة ، وغشها من نور الرب حل جلاله

ورأى هناك جبريل له ستائة جناح مابين كل جناحين كباين السماء والأرض وهو لنى يقول الله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ مضى السدرة ما يشئ * ما راغ البصر وما صمى) أى مازع يميناً ولا شمالاً ، ولا أرفع عن المكان الذى حد له النظر إليه ، وهذا هو الثبات العظيم ، والأدب الكريم ، وهذه الرؤيا لتأية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها .

وحرص الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى أمته لصلوات يلىشد ، خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل ، حتى وصفت الرب جل جلاله إلى حسن ، وقال هى حسن وهى خسون ، احسنة مشر أمثلة ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل يلىشد . ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، والظاهر أن الأنبياء همبوا منه تسكرتاً له وتمطياً عند رجوعه من المحصرة الإلهية العظيمة . فلما حات الصلاة أم صلى الله عليه وسلم الأنبياء ، فتقدمهم إماماً عن أمر جبريل .

ثم خرج منه فركب البراق ، وعاد إلى مكة !! فأصبح بها وهو فى غاية الشات والكية والوقار ، وقد عى فى تلك الليلة من الآيت والأمر التى لراها أو بصها - غيره لأصبح مدهشاً ، أو عاش العفل . وتكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واحماً - أى ساكاً - يحشى إن بدأ فأحبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تسكذيه .

فتطلب ياحبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة . وقلت أن أبأ جهل - لسه الله - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام ، وهو جالس واجم .

قال له : هل من خبر ؟ !

قال : نعم

قال : وما هو ؟

قال : إني أسرى في الليلة إلى بيت المقدس .

قال : إلى بيت المقدس !!

قال : نعم .

قال : أرايت إن دعوت قومك لك لتخبرهم آتخبرهم بما أخبرني به ؟

قال : نعم .

فأراد أبو جهل مع قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله صلى الله

عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم .

قال أبو جهل : هيا معشر قريش . . . وقد احتمعوا من أدينتهم .

فقال : أخبر قومك بما أخبرني به .

فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت

المقدس هذه الليلة وصلى فيه .

فن بين مصفق ، وبين مصفر ، تكديبا له ، واستفحدا لغيره !

الصديق

ومار أخير بمكة ، وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه .

فأخبروه أن محمداً يقول كذا وكذا .

قال : إنكم تكذبون عليه .

قالوا : والله إنه ليقوله .

قال : إن كان فله عند صدق .

ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحوله مشركي قريش .

عن ذلك فآخبره ، فاستمع من صحبات بيت المقدس ليسمع الشركون ويمنوا

صدقه فيما أخبرهم به .

وكان مما قال أبو بكر ، وقد أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك أنيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .

قال : يا نبي الله ، ضمه لي فإني قد حثته .

فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر ، ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر « أت يا أبا بكر الصديق » .
فيومئذ سماه الصديق .

تعاور الصلاة

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الإسراء ، جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبرئيل في ذلك اليوم إلى العبد ، والمسلمون يأتون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يجتدي بجبرائيل .

وروى أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فرغت الخمس ، فرست حضراً على ما هي عليه ، ورحص في السفر أن يصل ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً .

وفاة خديجة وأبي طالب

ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فسامعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمصاب موت خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو لها .

ومحبوب عنه أبي طالب ، وكان له عهداً ومنعة وفاسراً على قومه .
وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

قصة زواج عائشة

توفيت خديجة رضي الله عنها قبل محرج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث
سنين ... فلبث سنتين ، وتزوج عائشة .

وكان دحوله بها في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة
وقصة ذلك : لما هبكت خديجة جاءت حولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون
فقال : يا رسول الله ألا تزوج ؟

قال : من ؟

قالت : إن شئت بكراً . وإن شئت ثيباً .

قال : فبالبكر ؟

قالت : أحب خلق الله إليك ، عائشة ابنة أبي بكر .

قال : ومن الثيب ؟

قالت : سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعك .

قال : فادهي ... فاذكرهما علي .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليك من
الخير والبركة ؟

قالت : وما ذاك ؟

قلت : أرسني رسول الله صلى الله عليه وسلم أحطب عليه عائشة .

قالت : أظري أبا بكر حتى يأتي .

فأتى أبو بكر ، فقالت يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليكم من

الخير والبركة ؟

قال : وما ذلك ؟

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة -

قال : وهل تصبح له ؟ إنما هي ابنة أخيه ؟

فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال :
« ارحمى إليه قولي له أما أخوك ، وأنت أمي في الإسلام ، وابنتك تصنع لي » .

فرجعت فذكرت ذلك له ، قال : انتظري . . . وخرج .

قالت أم رومان : أن مطعم بن عدي قد ذكر ما على ابنه ، ووالله ما وعد
أبو بكر وعداً قط فأخلفه .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي ، وعنده امرأته أم المصبي ، فقالت
يا ابن أبي قحافة ، لك مصبي صاحبنا ندخله في دينك الذي أنت عليه إن
تزوج إليك ؟

فقال أبو بكر لمطعم بن عدي : إنها تقول ذلك ؟ !

فخرج من عنده ، وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عذته التي وعده .
فرجع فقال تنولو - ادعى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فدعته . . . فزوجه إياه . . .

قصة زواج سودة

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت : ما أدخل الله عليك من
الخير والبركة ؟

قالت : وما ذلك ؟

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث إليه .

قالت : رددت ، لدخلني إلى أبي بكر فذكر لي ذلك له

فدخلت عليه ، فحيدته ، فحيدته الجاهلية ، فقال : من هذه ؟

قالت : خولة بنت حكيم .

قال : فما شأنك ؟ .

قالت : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عنده سودة ،

فقال : كمؤكرم .

قالت : ماذا تقول صاحبك ؟ .

قال : تحب ذلك . . . ادعينا إلى .

فدعته ، قال : أي بنية : إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

قد أرسل يخطبك ، وهو كمؤكرم ؛ أتخمين أن أزوجك به ؟ .

قالت : نعم .

قال : ادعيني .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه .

زفاف عائشة

قالت عائشة تروي قصة زفافها : فقصنا للدينه فنزل في بي الخمر من

الخمر ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل بيئنا ، وجمع إليه رجال

من الأنصار وساء خادتي أمي وأنا لبي أرجوحة بين عديني ، يرجح لي ،

فأترلتني من الأرجوحة ، ولي حمية فزقتها ، ومسحت وجهي بشيء من ماء ،

ثم أقبلت فودني حتى وقت في عبد الباب ، وإني لأنهي حتى سكن من عسي ،

ثم دخلت في فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حالس على سرري بيني ،

وعنده رجال وساء من الأنصار ، فأحسني في حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك ،

فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوئب الرجال والنساء فخرجوا ، ودخل

في رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا .

لماذا تزوج سودة ؟

وما هو من علس يروي لنا أساليب زواجه صلى الله عليه وسلم من سودة

فيقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصيبة ، كان لها خمس صبية — أو سب — من نسلها مات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يمنعك مني ؟ » قالت : والله يا رسول الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إليّ ، ولكن أكرهك أن يسموا هؤلاء الصبية عند رأسك مكررة وعشيرة . قال فهل منعك مني غير ذلك ؟ قالت : لا والله ، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله ، إن حير نساء دكين عثر الإبل ، صالح نساء قريش ، أحباء علي ولد في صغره ، وارعاء علي بل بذات يده ، وكان زوجها فله عليه السلام الكران بن عمرو وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة . وهذا يقتضي أن عذله على عائشة كان متعلماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دحوله على سودة كان بحكمة ، وأما دخوله على عائشة متأخر إلى المدينة في السنة الثانية .

لا تبيكي يا بنية !

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطيع به في حياء أبي طالب ، حتى اعترضه سبع من سعياء قريش فقتلوا على رأسه تراباً ! .

فلما نثر ذلك النقيع على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقلت إليه إحدى بناته فطعت فسل عنه التراب وهو تمكي .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : « لا تبيكي يا بنية فإن الله مانع أباك » .

حتى المطائف ... تؤذي رسول الله !

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من

الأذى ما لم تكن تنال منه في حيلة عمه أبي طالب .
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ليمس المصرة من قيف
والنبة بهم من قومه .

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من
قيف ، هم يومئذ سادة قيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاث .

فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما
جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من حاله من قومه .

فقال له أحدهم : هو يبرق ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله أحطاً يرسله غيرك ؟

وقال الثالث : والله لا أكلمك ثيداً ، نئن كنت رسول من الله كما تقول
لأت أعظم حصراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله
ما نفى لي أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد بشى من حير قيف ،
وقال لهم « إدا صلتهم حافظتم ، فاكتموا عني » وكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يبلغ قومه عنه فيحرقهم ذلك عليه .

فلم يلبثوا ، وأعرضوا به سمهاهم وعبيدهم يسبون ويصيحون به حتى اجتمع
عليه الناس .

وقد له أهل الطائف صميم على طريقه ، فلما سر حصاره لا يرض رحله ،
ولا يصحبها إلا وصحروها بالحجارة حتى أدموه ، فلتص منهم وحاً يسيلان الدماء .
وأنفخواه إلى بيتان لينة وشدة ابن ربيعة وعمايه .

ودرج عنه من سمها ، قيف من كان بقبه ، فصد إلى طل عنة فجلس فيه .
وباساربيعة ينظران إليه ، ويريان مالتى من سمها أهل الطائف .

فدلى لطلان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إني أأسكو صفى .

قوتى ، وقلة حيتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلمنى ؟ إلى بعيد بسحسى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن لك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصبح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل لى عصيتك ، أو تجل على سحطك ، لك المنتهى ^(١) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

فما رآه إيسار ييمة ، ومائى ، تحركس له وحنها ، فدعوا علاماً لها بصرايماً يقال له عداس .

فقال له : حذ عنقوداً من هذا العنب ، فصعد فى هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، قل له يأكل منه .

فقل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : كل .

فما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : سم الله ، ثم أكل .

فنظر عداس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما جنتك ؟ » .

قال : نصرانى .. وأنا رجل من أهل يثربوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرية الرجل الصالح يوس ابن حنى ؟ » .

فقال عداس : وما يدريك ما يوس بن حنى ؟

(١) المنتهى : الزمى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك أحنى ، كان بيئاً وأنا بي » .
فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقل رأسه ويديه وقدميه .

الجن يستمعون !

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من العاتب راحاً إلى مكة ،
حين يئس من خير تصف

حتى إذا كان نحلة ، قام من حوف الليل يصلى ، فسر به النمر من الجن
الذين ذكروهم الله تبارك وتعالى ، وهم سبعة مر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له .
فما فرغ من صلاته وثَّوَّأ إلى قومهم مندرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى
ما همموا .

فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : (وَإِذْ حَرَفْنَا
إِلَيْكَ بَرَاءً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) أى قوله : (وَنَحْرِكُمْ مِنْ مَذَابِ أَلِيمٍ)
وقال تبارك وتعالى : (قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمَعَ مِرٌّ مِنَ الْجِنِّ) إلى آخر القصة
من خبرهم من هذه السورة .

يعرض نفسه على القبائل !

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من
حلافه وفراق ديبه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى اللوأم إذا كآب ،
على قبائل العرب : بدعوم إلى الله ، ويحرم أنه بهى مرسل ، ويسألهم أن
يصدقوه ويمنعوه ، حتى يبين عن الله ما فيه به .

وكان لا يسمع بقدام غلم مكة من العرب له اسم وشرف ، إلا تصدى له
دعاه إلى الله ، وعرض عليه ماعده .

فما استجاب له من أحد !!

بيعة العقبة الأولى

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الأنصار أراد الله بهم خيراً .
فلما كثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك نفره ، ودعاهم إلى الله قال
بعضهم لبعض : « قوموا ، تطروا والله إنه للشيء الذي توعدكم به يهود فلا تسبقكم إليه
فأجابوه بما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام .
ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم وقد
أصغوا وصدقوا .

وكانوا بيعة من المخرج .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعاهم إلى الإسلام حتى فشت فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها
ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فقروه
بالبيعة ، فبايسوه : « أ لا نترك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نرى ، ولا نقتل
أولادنا ، ولا نأثى بيهتان متريه من بين أيدينا وأرجلتنا ، ولا نصيبه في معروف ،
هذان وقتكم الحنة ، وإن عثبتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل :
إلى شاء عمر ، وإلى شاء عذاب » .

وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب .

فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القوم ، بعث معهم مصعب بن عمير ،
وأمره أن يترهم القرآن ، ويصلهم الإسلام ، ويعتقهم في الدين
مكأن يصلحهم ، ذلك أن الأوس والمخزج كره بعضهم أن يؤمنه بعض
ومعنى مصعب يدع الناس إلى الإسلام بالندسة حتى لم تبق دار من دور
الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

وكان فيمن أسلم أميد بن حصير ، وسعد بن معاذ .

ليلة العقبة الثانية الكبرى

وخرج من نرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة .

فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبه من أوسط أيام التشريق .

قال عكرمة بن مالك : حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من خيامنا ليعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قليل قليل القفا ، مستعطين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، وهما أسرايمان من نسائنا .

قال : فاجتمعنا في الشعب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يأمركم على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أسرايمان أخيه .

فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر انظروا ، إن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعه من قومه عن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومهنة في بلده ، وإنا قد أتينا إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه وما نعوه ممن خلفه فآثم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومهنة من قومه وبلده .

قال : ففعلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم برسول الله ، فجد لنفسك ولزمك ما أجبته .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : «أبايكم على أن تمسكوا بما تمسكون منه بآباءكم وأبناءكم» . فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : سمعنا وأطعنا ، فالتفت إلى من معه

تجمع منه أررنا^(١)، فبايت يرسول الله ، ففتح والله أهل الحروب ...
فاعتز أبو أنبيس بن النيهان فقال : يا رسول الله ، إن يساويين الرجال
عبالا (يعنى اليهود) وإنا قاطعوها ، فهل عنيبت إن عشنا ذلك ، ثم أعهرلك
الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدّم الدّم » والهدم
الهدم^(٢) ، أنا معكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسلم من سلمتم »
قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلى معكم
اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم » .
فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا : تسعة من الخروج ، وثلاثة من الأوس .
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنجباء : « أنتم هي قومكم بما فيهم كفلا »
كفالة الخواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كنيل على قومي » (يعنى المسلمين) .
قالوا : نعم .

(١) جاء ؟

(٢) كانت العرب تقول عند عقد الحلف : « دى ديك وهدى هدىك »

الهجرة

كيف كانت الهجرة ؟

فلما عنت قريش على الله عز وجل ، وكذبوا بيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا ،
هو قوا ، من عبيده ووجهه وصديق بيه ، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله
عليه وسلم في القتال .

« كَانَتْ أُولَى آيَةِ أَنْزِلَتْ فِي إِذْنِهِ لَهُ فِي الْحَرْبِ : (أَدْنَى لِّلَّذِينَ يُكَاذِبُونَ
بِأَيْمَانِهِمْ خُذُوا وَإِنَّا عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا
ثَنٌّ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ .) »

فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وتابعه هذا الخي من
بالأصار على الإسلام والنصرة له ولبن اتبعه وآوى إليهم من المسلمين ، أسره
بِرسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من
المسلمين ، بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها ، والحقوق بخيراتهم من الأنهار .
وقال : « إِنْ أَرَادَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِحْوَانًا وَمَأْوَا تَأْمَنُونَ بِهَا » .
فخرجوا أرسالا (١) .

وأظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج
من مكة والهجرة إلى المدينة .

واجتمع أشرف قريش ، وعهرهم ممن لا يسمع من هريش .
فقال بعضهم لبعض : إِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ كَانَ مِنْ أَسْرِهِ مَا قَدْ وَأَنْتُمْ . فَبَا
وَاللَّهِ مَا نَلَيْتُمْ عَلَى الْوَنُوبِ عَلِيَّا فِيمَنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ، فَاجْعَلُوا فِيهِ رَأْيًا .
فقال قائل منهم : احسوه في الحديد وأغلوا عليه بابا ثم ترمسوا به الموت .
ثم قال قائل منهم : نخرجهم من بين أظهرنا ، فنفيه من بلادنا ، فإذا خرج
عن غوايته ما يبلى أين ذهب ، ولا حيث وقع .

(١) طائفة بعد طائفة .

قال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأيا ، ما أراكم وقتم عليه بعد .
قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن تأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسبيا وسيطا فينا ، ثم
تطلى كل فتى منهم سيفا صريحا ، ثم يمتدوا إليه ، فيصربوه صربة رجل واحد
فيقتلوه ، فستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا .

فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبث هذه الليلة على
فراشك الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت طلعة من الليل ، احتضموا على بابه يرصدونه متى ينام ،
فيثبون عليه .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : « ثم
علي فراشي ، وتَسَجَّ سَبْرُؤِي هذا المصري الأحمق ، قم فيه فإنه لن يخلص
إليك شيء . نكروهم منهم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .
فما احتضموا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : « يا بني عم
أسكن إن تاتمموه على أمره لكتن ملوك العرب والعجم ، ثم بعتم بعد موتكم ،
ثم جعلت لكم نارا تحرقون فيها » .

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « نعم أنا أقول
ذلك ، أنت أحدُهم » ، وأحد الله تعالى على أبصارهم منه فلا يرونه
فما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج آتيا بأكبر غرجا من
خوخة لأبي بكر في ظهره .

ثم عدا إلى غارِ بِسْوَرِ جَلِ بأسفل مكة ، فدخله .
واتمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا .
فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمس الغار

لينظر إليه سُبْح أو حية ؟ بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ! .
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار ثلاثاً ومعه أبو بكر م
وحملت قریش فيه حين قدومه مائة ناقة لمن يردده عليهم .
حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أباهما صاحبهما الذي استأجره
ببيعتهما ، وصير له .

فركبا ... وانطلقا ...

وأردف أبو بكر الصديق ، عامر بن فهيرة مولاة خلقه ، لينخدعهما
في الطريق .
وكانوا أربعة . رسول الله ... وأبو بكر ... وعامر ... وعبد الله بن
أرقط دليلهما .

فما حرج بهما دليلهما سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضوا بهما على الساحل
حتى قدما المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ،
حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تمعدل .

وكان بين حروجه من مكة ودخوله للمدينة خمسة عشر يوماً لأنه أقام بفار
ثور ثلاثة أيام .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك
بعد أن بعثه الله عز وجل ثلاث عشرة سنة .
وكان الطريق الذي سلكوه غير الطريق المسالوفة وأبعد منها .

وصوله إلى المدينة

ودوى عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما سمعنا
مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة استظربا قدومه . كما نخرج إذا
صلينا الصبح إلى طاهر حرمنا منتعريه ، فوافقه ما سرح حتى نصبنا الشمس على

الجمال ، فإذا لم يجد ظلادحنا ، وذلك في أيام حارة .
قالوا : حتى إذا كان اليوم الذي قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
جلسنا كما يجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا .
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من
رآه رجل من اليهود .

فصرخ اليهودي بأعلى صوته : هنا جدكم قد جاء .
فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر
رضي الله عنه في مثل ست ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ذلك .

وازدحم عليه الناس وما يعرفونه من أبي بكر
حتى رآه النخل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فاطقه
بردائه ، فرفضاه عند ذلك ! .

وأقام على بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الواضع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم .

بناء مسجد رسول الله

وبركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع لتلاميذ بنيامين من
بني النصار .

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجداً ، ونزل على أبي
أيوب حتى بنى مسجده ومسكته .

فصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعرب المسلمين في الحقل فيه ،
فصل فيه المهاجرون والأصل ، وبدأوا فيه .

ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب .
وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم
أحد إلا مغتور أو محبوس .

بدء التنظيم

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، ودع
فيه اليهود وعاهدم ، وأقرم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم
« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين
المؤمنين والمسلمين ، من قریش ويثرب ، ومن بينهم ملحق بهم وجاهد معهم ،
إنهم أمة واحدة من دور الناس ... وإنكم بها اختلفتم فيه من شيء فإن صردم
إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفون مع المؤمنين
مداوموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم
والمسلمون دينهم ، مواليهم وأخصمهم ... » .

يوأخي بين المهاجرين والأنصار

آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين زلوا المدينة ليدع
عنهم وجنة التربة ، ويؤسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويعد أرو
يخصهم ببعض .

وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار
فقال : « تأتوا إلى الله أحويين أخويين » ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب
فقال : « هذا أخى » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد المرسلين ، وإمام المؤمنين ، الذى
ليس له حظير ولا ظهير من المهاد ، وعلى بن أبي طالب وصي الله عنه أخوين .

وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وريد بن حارثة موى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحوي .
وتلك هي الأحوة الصادقة ، التي تزول فيها الحواجر والطبقات .

كيف كان الأذان ؟

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة إماماً يجمع الناس إليه للصلاة حين موافقها سير دعوهم .
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يحمل رواقاً يكون يهود الذي يدعون به لصلاتهم .
ثم كرهه ، ثم أمر بالقوس ، فحت ليضرب به المسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن ريد النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف في هذه الليلة طائف . سرى في رحل عليه ثوبان أحصرن يحمل ماقوساً في يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أنبيع هذا القوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : مدعوه إلى الصلاة . قال أملاً أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الإصلاح ، حي على الإصلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فما أحبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فمع بلال فلقها عليه ، فليؤذن بها فإنه أئدى صوتاً منك »
فما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمر رداً وهو يقول : يا نبي الله ، والذي بشك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلل الخد ... » .

بدء عداوة اليهود وظهور النفاق

وَصَبَّبَ عِدَّةَ خَلْقٍ أَحْصَاهُ يَهُودُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِدَاةَ سِيَّاً وَحَسِداً ، لَمَّا حَضَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أُخْده رَسُولُهُ مَبِينٌ وَمَالٌ إِلَيْهِمْ رِجَالٌ مِنَ الْأَوْصِياءِ وَالْخُرُوجِ عَنْ كُلِّ بَقِيٍّ عَلَى جَاهِيَّتِهِ ، وَكَانُوا أَهْلَ بَقِيٍّ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَلِتَكْذِيبِ بَابِعِثٍ إِلَّا أَنْ الْإِسْلَامَ قَهَرَهُمْ بِظُهُورِهِ ، وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِ .
فَظَهَرُوا بِالْإِسْلَامِ ، وَاتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنَ الْقَتْلِ ، وَنَاقَرُوا فِي النَّسْرِ ، وَكَانَ هَوَاهُمْ مَعَ يَهُودٍ .

وَكَانَتْ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ لَهُمْ لَدِينِ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْتَتُونَهُ ، حَوِيَّاتُونَهُ بِاللَّسِّ لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ .
فَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِيهِمْ وَفِيَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْ أَسْئَالٍ فِي الْخِلَالِ وَالْحَرَامِ ، كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنْهَا .

إسلام عبد الله بن سلام

قال عبد الله بن سلام : لَمَّا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَرَفْتُ صَدَقَ وَاسْمُهُ وَرِيعَانُهُ الَّذِي كَمَا «عَرَفْتُ لَهُ» ، فَكُنْتُ مَسْرُوراً لَدَيْكَ ، صَادِقاً عَلَيْهِ ، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَرَلْتُ بَنِيَّاءَ فِي بَنِي عُمَرُو بْنِ عَرَفٍ ، أَقْبَلَ رَحِلٌ حَتَّى أَهْرَ بِقَدُومِهِ . وَأَمَّا فِي رَأْسِ عَمَلَةٍ لِي أَعْمَلُ فِيهَا ، وَعَنْتِي سَالِدَةٌ أَسَةُ الْحَرْثِ تَحْتِي جَالِةٌ ، فَهَذَا سَمِعْتُ الظُّهْرَ بِدُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَبُرَتْ ، فَقَالَ لِي عَمِي حَبِيبٌ مَعْتِ نَسْكَبِي . حَيْثُ اللَّهُ !! . وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ قَادِماً مَارِحاً ! .

قال : قلت لها : أى عمه هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دمه ،
نعت بما نعت به .

قال : قالت : أى ابن أخى ، أهو البى الذى كما تخبر أنه يبيت مع موسى
الساعة ؟ !

قلت لها : نعم .

قالت : فذاك إذا .

ثم حررت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسألت : ثم رجعت إلى أهل
ياق فأمرتهم فأسألوها .

قال : وكنتم إسماعى من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإني أحب أن تدخلنى فى بعض
بيوتك ، وتنبئى عنهم ، ثم نألمهم حتى يحبروك كيف أنا فيهم قبل أن يلموا
إسماعى ، فإنهم إن علموا به بهتوا وعابوا .

قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوتهم ، ودخلوا عليه
فكلموه وسألوه .

ثم قال لهم : أى رجل الخبير بن سلام حكم ؟

قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا ، وعالمنا .

قال : فما فرغوا من قولهم حررت عليهم ، قلت لهم : يا معشر يهود اتقوا
الله ، واقبلوا ما جاءكم به ، هو الله إنكم لتصورون أنه لرسول الله ، تجلسوا به
مكتوباً عندكم فى التوراء باسمه وصحته ، وإنى أشهد أنه رسول الله وأومس به ،
وأصدق وأعز .

قالوا : كذبت ، ثم وقفوا بى .

قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أحبرك يا رسول الله أنهم قوم
نهت ، أهل عذر وكذب وغور ؟

قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلفت عمق حالة بيت الحرث
عن إسلامها.

* * *

وكما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلما زاد عيظ
اليهود، واشتد غلق المنافقين، حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً
أصحابه بإخراج المنافقين من محبته، فصاروا يحبوسهم ويقتولون بهم
خارج السجد.

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبحث السرايا ويقوم بالمروءات، في محال
صيق، للاستطلاع والاستكشاف.

وكان صلى الله عليه وسلم، يهدف من ذلك إلى تمرير أصحابه وإعدادهم
للقاتل، وإلى إرهاب أعداء الله وإشغالهم بمسألة أصحابه.

متى حولت القبلة؟

صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم للدينة.

وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى
بيت المقدس والكعبة بين يديه، فهاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما
فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه إلى المدينة، واستدرك الكعبة سبعة
عشر شهراً.

وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة فقله إبراهيم، وكان
يكثر الدعاء والتضرع والانهال إلى الله عز وجل، فكان مما يرفع يديه وحضره
إلى السماء سائلاً ذلك.

فأمر الله عز وجل: (قَدْ رَأَى ثَلَاثَ وَحَمِكَ فِي أَسْمَاءَ، فَلَوْلَيْمَكَ قِبَلَهُ
تَرَصَّاهَا قَوْلٌ وَحَمِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الآية.

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة ، خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وأعلمهم بذلك .

فرض رمضان وزكاة الفطر

- وفي السنة الثانية من الهجرة كذلك فرض صيام رمضان .
- وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر .
- وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد ، وخرج الناس إلى المصل ، فكان أول صلاة عيد صلاها .

غَزْوَةُ بَدْرٍ الْعُظْمَى

كيف كانت الغزوة؟

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صبح بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام ، في غير قريش ، ونخاعة من ثملواتهم ، وبها ثلاثون رجلاً من قريش أو أوعون .

ونذبت المسلمين إليهم وقال : « هذه غير قريش فيها أوالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفقكموها » .

فاتتدب الناس ، تخف بعضهم وقتل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً .

وكان أبو سفيان - حين دنأ من الحجاز - يتعجب الأحيار ، ويسأل من لقي من الركان ، تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنصر أصحابه لك ولغيرك .
فحذر عند ذلك .

فاستأخر تميم بن عمرو ، فمعه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستغفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لنا في أصحابه .

فخرج تميم سرياً إلى مكة . . . وصرح بطن الوادي واقفاً على سيره قد قطع أمب سيره ، وحول رحله ، وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطية اللطية^(١) أموالكم مع أبي سفيان : قد عرض لما عهد في أصحابه ، لأأري أن تدركوها ، الموت الموت .

فتحيز الناس سراعاً ، فكانوا بين رجبين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً .

وأوتعت قريش ، فلم يتحلف من أشرافها أحد : إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تحلف وبث مكانه العاصي بن هشلم

(١) اللطية : الإبل تحمل الملب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليالٍ مضت من شهر رمضان
في أصحابه .

خرج يوم الاثنين لثمان ليالٍ حلّون من شهر رمضان .
واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس .
ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض .

وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوحاوان ، إحداهما مع
علي بن أبي طالب يقال لها الثعالب ، والأخرى مع بعض الأنصار .
وكانت ليلي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بغيراً ،
فصوبوها . . .

وحمل على الساقة ، قيس بن أبي صفيحة .
وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .
فسلّك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة ، فلما كان
على واد يقال له ذفران نزل .
وأقبله الخليل عن قريش بمسيرهم ليتموا عيرهم .

يستشير أصحابه

فاستشار الناس ، وأحبرهم عن قريش .
قام أبو بكر الصديق فقال وأحسن .
ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن .
ثم قام المنذر بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن
معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (فاذهب أنت وربك
فقاتلا إنا هاهنا فاعبدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

هو الذي نلتك بالحق لو سرت بنا إلى برك^(١) الجادر لجالدنا معك من دونه
حق قبلك .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حيراً ، ودعاه به .
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا علي أيها الناس » ...
ولما يريد الأصار .
فما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : والله
لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟
قال : أجل .

قال : فقد آمنا بك ، وصدقك ، وشهدنا أن ما حثت به هو الحق ،
وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله
كما أردت ، فمجن معك ، هو الذي نلتك بالحق لو استعصمت بنا هذا البحر
فحصته لحصاه معك ، ما نخب ما رحل واحد ، وما سكره أن تلقى بنا عدونا
غداً ، إنا نصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به
عينك ، فسر بنا على بركة الله .

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهول سعد ، وشطه ذلك .

سيروا وأبشروا ...

ثم قال : « سيروا ، وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ،
والله لكأنني الآن أطرف إلى مصارع التوم »
ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، ثم نزل قريشاً من
بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه هو أبو بكر الصديق ، يسأل عن أخبار
قريش .

(١) موضع بناحية اليمن .

فلما أمسى نعت علي بن أبي طالب ، والزيد بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يتمسكون أخيراً ، فأصابوا علامين لقريش فأتوا بهما .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كبر القوم ؟ » .
قالا : كثير .

قال : « ما عدتكم ؟ » .

قالا : لا ندري .

قال : « كم ينحدرون كل يوم ؟ » .

قالا : يوماً نساءً ويوماً عسراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القوم فيا بين القسحانة والآلف » .
وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير خذراً ، حتى ورد الماء .

فرجع إلى أصحابه سريعاً فصرّب وحده غيره عن الطريق ، وأخذ بهما جهة الساحل ، وترك بدرأً يساراً ، واصطلق حتى أسرع .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرر غيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما حرحمتم لتمموا عبركم ورحالكم وأموالكم ، قد نجاها الله فأرحموا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله لا ترجع حتى ترد بدرأً ، فتقيم عليه ثلاثاً ،
فصرّ الجُرُز ، وطمع العمام ، وبتى الخمر ، وتمزق عتيا القيان ، ويسع بنا العرب وبميرنا ونجمنا ، فلا يرالون يهابونا أبدأً بعدها ، فامضوا .

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي .

وبعث الله السماء ، وكان الوادي لينا لم يبلغ أن يكون رملاً .

فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لئد لهم الأرض .

وجعل رايتها لا يشور ، ومهل هم السير فيه ، ولم يسمعهم من السير .

وأصاب قريشاً منها ماء لم يقدروا على أن يرتفعوا منه .

ينزل على رأى الحباب!

تخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يندرعهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل أمئزلاً أزللك الله ليس لك أن تتقدمه ولا تتأخر عنه أم هو الرأى والحرب واللكيدة ؟ .
قال : « بلى هو الرأى والحرب واللكيدة » .

قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض الناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فهزله . ثم بعد ما وراه من الآبار (بأن يقدحوا فيه أحجاراً وتراًياً يفسدوها على أعدائهم) ثم بين عليه حوضاً فسلطوه ماء .
ثم قاتل القوم ، قشرب ولا يشربون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لقد أشرنت بالرأى » .
فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، صار ، حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالآبار فأصدمت ، وبنى حوضاً على الثر الذى نزل عليه ، فسمى ماء ، ثم قدحوا فيه الآية

بنا العريش

وقال سعد بن معاذ رضى الله عنه . يا بى الله ، ألا نبني لك عريشاً نكون فيه ، وسد عندك ركائبك ، ثم تلقى عدونا ، فبن أعمرنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحيينا وإن كانت الأحسرى حلت على ركائبك فلفقت بمن ورونا من قومنا ، فقد تخلف منك أتوام يا بى الله مانحن بأشد لك حياءً منهم ، ولو طروا أهلك تلقى حرباً ما تحلفوا عنك ، يجمعك الله بهم ، يا محمد نك ويخلصون معك .

فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاه نكير .

ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرش... فكان فيه .
وقد ارتفعت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فاصرفك اللى وعدتني ... » .

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة رجل حملوا يتكلمون في الرجوع ،

فقال عتبة بن ربيعة خطباً فقال : يا معشر قريش ، إسمكم والله ماتصنعون بأن تقفوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصرتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، وابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخوا بين محمد وبين سائر العرب ...

فقال أبو جهل : كلاً ! - والله لا يرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ! .

بدء الحركة

وحرج الأسود بن الأسود قائلاً : أتعاهد الله لأشركن من حوضهم ، أو لأهريقنّه ، أو لأموتنّ دونه .

فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فلما التقيا ضربته حمزة فأطار قلبه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض .

فوقع على ظهره تشخُّبُ رحله دماً ، نحو أصحابه .

ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرئ يمينه .

واتبعه حمزة بضربه حتى قتله في الحوض .

المبارزة

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد ابن عتبة .

حتى إذا خرج من الصف دعا إلى المبارزة .

فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة .

قالوا : من أنتم ؟

قالوا : رهط من الأنصار .

قالوا : مالنا بكم من حاجة .

ثم نادى ساديتهم : يا محمد .. أخرج إلينا أكفأنا من قومنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُمُ يا عبيدةُ بن الحارثِ ، قم يا حمزة ،

قُمُ يا علي » .

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟

قال عبيدة : عبيدة .

وقال حمزة : حمزة .

وقال علي : علي .

قالوا : نعم ... أكفأ كرام .

فلما رجع عبيدة - وكان أسن القوم - حبة بن ربيعة ، وأرر حمزة شيبة بن ربيعة

وبارز علي الوليد بن حبة .

فأما حمزة فلم يعمل شيعة أن قتله .

وأما علي فلم يعمل الوليد أن قتله .

واختلف عبيدة وعتبة بينهما صريخ ، كلاهما أثبت صاحبه .

وكر حمزة وعلي بأسياهما على عتبة فأحزاه عبيدة ، واحتملا صاحبهما فآزاه

إلى أصحابه .

ثم تراخف الناس ، ودنا بعضهم من بعض .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، معه أبو بكر الصديق

وصي الله عنه .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سَنَحَ عشرة من شهر رمضان .
ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوف ، ورجع إلى العريش ،
فدخله ومعه فيه أبو بكر ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي
رَبْعَ مَلاوَعِدَةٍ مِنَ الْمَصْر ، ويقول فيما يقول : « اللهم إني تهلك هذه العصابة اليوم
لا أُعْبِدُ » .

وأبو بكر يقول : « يا أيُّ الله ، سمعنا منك ربك ، فإن الله مُجِزُّك .
ملاوَعِدُكَ » .

أول قتيل من المسلمين

وقد روى يهَجَّجٌ مولى عمر بن الخطاب - بسهم قُتِلَ .
فكان أول قتيل من المسلمين .

ثم روى حارثة بن سراقة - وهو يشرب من الخوض - بسهم قُتِلَ .

النبي يحرض أصحابه على القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، وقال :
« والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محققاً ، مقيلاً
عور مُدْرٍ ، إلا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ » .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفة من الخصباء ، فاستنبل بها
قريشاً ، ثم قال : « شامت الوجوه » ثم رماهم بها .
وأمر أصحابه فقال : « شدوا » .
فكانت المريعة .

فقتل الله تعالى من قتل من صايد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .
وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر « أَحَدٌ أَحَدٌ » .
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في الشتر ،
فطرحوا فيه .

ووقف عليهم فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم فرجكم حقاً ؟ -
فإنى قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً ؟ » .

فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أمكلم قوماً موتى ۱ ؟
فقال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » .

ذبول المعركة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في المعسكر مما جمع الناس ، فجبع ،
فاختلف المسلمون فيه .

فقال من جمعه : هو لنا .

وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لو لا نحن ما أصفتموه .

وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما أنتم
بأحق به منا .

فقرعه الله من أيديهم جميعاً ، وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين على السواء .

ثم نث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً
إلى أهل المدينة ، بما فتح الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى
المسلمين .

وبعث ربيعة بن حارثة إلى أهل السافلة

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فافلا إلى المدينة ، ومعه الأسارى
من المشركين .

واحتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النساء التي أصيبت من
المشركين .

ثم قسمه صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق على المسلمين على السواء .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالروحاء لقيه السعدون
يهشونهم بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقه بين أصحابه
وقال : « استوصوا بالأسارى خيراً » .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحِمْيَارُ بن عبد الله ، فقالوا
ماوراءك ؟ .

قال : قُتِلَ عُمَةُ ، وشَيْبَةُ ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُمَيَّةُ بن حنف
وحمل بعد أشراف قريش .

ومالك أبو لهب أن مات بعد سبع ليال من إذاعة خبر هزيمة قريش
المعركة ! .

قالوا ونحت قريش على فسلام ، ثم قالوا : لا تقصوا فيبيع عمداً وأصحابه
فيشتتوا بهم ، ولا تبيعوا في أسراكم عاجلاً ، حتى لا تشتد عليكم عمداً وأصحابه
في الفداء .

ثم نصف قريش في فداء الأسارى .

وكان فداء لمشركين يومئذٍ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا
من لا نبي له ، هن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

نزول سورة الأنفال

فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأمورها .

وكان عدد من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة ورجل
وأربعة عشر رجلاً .. من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأنصار واحد
وستون رجلاً ، ومن الخرج مائة وسبعون رجلاً
واستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر .

لما قتل المشركين فكانوا سبعين رجلاً ، والأمري كذلك .
وكان فراع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في محب شهر رمضان .

• • •

تلك هي معركة بدر الكبرى .
تلك للمركة التي سماها الله « يوم الفرقان » يوم التي الجماع .
ولقد كان كذلك حقاً وصدقاً .
يعني يوم الفرقان لأنها فرقت بين الحق المستضعف والباطل المتعظم .
فأعزت الحق ، وأدلت الباطل .

ودوى صوت مدر عالياً في الآفاق ... دوى في أنحاء جزيرة العرب ، وتسامع
بها العرب أيما كانوا .

وكان يزيد من دويها ، تلك الأشجار التي حمل أسامكة يطلقونها في الجزيرة
وبنوحون بها على قتلاهم ، وتلك الأشجار الأخرى التي جبل بعض أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلقونها كذلك ، « اعتزازاً بعمل الله عليهم
يوم بدر .

ولند تحاور ذلك الدوى بطح مكة وأرجاء الجزيرة العربية إلى الحبشة
ملك النعاشي ، حيث فهم عنده بعض من هاجر إليه فاراً بدينه ينتظر نصر الله .
قالوا : أرسل النعاشي ذات يوم إلى حمير بن أبي طالب وأصحابه ، مدحوا
عنه قتال النعاشي : « إني أبشركم بما سركم إني جاءني من نحو أركم عين لي ،
فأخبرني أن الله قد نصر بيبكم ، وأهلك عدوه ، وأسر فلان وفلان ، وقتل
فلان وفلان »

أي فرحة تلك التي دخلت آتت إلى قلب حمير بن أبي طالب وأصحابه حين
أبأهم النعاشي الخير ؟!

وأي سعادة تنوح في قلوبهم موحاً ، حين علموا أن الله قد صدقهم وعده
وأعز رسوله ومن معه من المؤمنين ؟ !

لقد دوت من في الأرض دويًا عاليًا ضاحيًا ، لأنها نصر الله .

كما دوت في السماء دويًا عظيمًا ، لأنها إرادة الله .

وكيف لا وقد كان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثمانية وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بينما كان المشركون تسعةً وخمسين رجلاً ودعمهم نساء الأسلحة ، وأن المسلمين خرجوا لا يريدون قتالاً ، بينما خرج المشركون يريدون قتالاً وفجراً ، دعم هذا كله كتبت الكافرون وانتصر المسلمون ؟!

وكان الأعجب من ذلك أن الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً بينما قتل من المشركين سبعون وأمر منيعون !! .

بل وأعجب من هذا كله أن ما كان مع المسلمين من الخيل هو فرسان . ليس إلا !! .

لقد كانت قطعاً ، وكانت نصراً ، وكانت فاصلاً بين عهد لدلة وعهد الرزة . في الإسلام .

فهل هذا صلى الله عليه وسلم ، بعد رجوعه من بدر ، وركن إلى الراحة ؟

غزوة بني سليم

كلا ... فإنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال حتى غزا بنده بريد بن سليم .

واستغل على المدينة ابن أم مكتوم الأعشى ...

بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ، ولم يبق كيداً .

فأقام بها بقية شوال وذا القعدة . وفادى في إقامته تلك حل لأسارى من قريش .

غزوة السويق

وكان أبو سفيان حين رجع إلى مكة - ورحمت قول قريش من بدر نذر أن مايمس رأسه ماء من جباية حتى نعرو محمدًا !! .

فخرج في مائتي راكب من قريش ، ليرجميه ، فسلط حتى كان قريباً من المدينة ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأبى حي بن أخطب فصرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه .

فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك . فاستأذن عليه ، فأذن له وأطمعه وسقاه . وأخبره من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم خرج في عقب ليلته ، حتى أتى أصحابه ، فبث رجالاً من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض . فحرقوا في عمارها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار ، وحليفاً له في ذرع لها ، فقتلوهما ، وانصرفوا راجعين . كأنه قد وقي بنذره ! .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه .

ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادوا كثيراً ، قد ألقاهم للشركون ، يجمعون منها ، وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال الملقون : يا رسول الله أظن أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال : « بلى » .

غزوة ذي أمر

طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة ، أو قريباً منها ، ثم غزا نجدًا ، يريد عجلان ، وهي غزوة ذي أمر .

فقام متحدياً صمراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الأول كله ، إلا قليلاً منه .

غزوة القرع من بحران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قريشاً ، حتى بلغ بحران مديناً بالحجاز من ناحية القرع ، فقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

حصار بني قينقاع

كان من حديث بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصرهم سوق قينقاع ثم قال : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما تركت قريش من النعمة ، وأسئلوا ، فإنكم قد عرقتُم أن بني مُرسَلٌ ، تجدون ذلك في كتابكم وَعَهْدُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ » .

فأبوا : يا محمد ، إنك ترى أن قومك ، لا يترُكُ أنك قيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبحت منهم قرصة ، إنا والله لن حاربنا لتعلمن أننا نحن الناس . وكان من قصة بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بصناعة لها . فأتته سوق بني قينقاع ، وحلت إلى صانع بها ، فجهلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبى .

فعمد الصانع إلى صوب ثوبها ، فعمد إلى طهرها ، فقامت اسكشت سوتنها ، فصحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصانع فقتله . وكان يهودياً .

فشلت اليهود على السلم فتلوه .

فاستصرح أهل السلم المسلمين على اليهود ، فصعب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

وكانت محاصرتها أيام خمس عشرة ليلة .

سرية زيد بن حارثة

وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يمشون إلى الشام - حين كان من وقعة بدر ما كان - فسلكوا طريق العراق فخرج منهم بحارٌ منهم أبو سمين بن حرب ، ومنه قصة كثيرة .
وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، لقيهم فأصاب ذلك المير وما فيها ، وأعجزه الرجال .

قدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مصرع كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من قصته أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران أهل المدينة بالمصر . قال كعب : أحق هذا ؟ أتتروا محمداً قبل هؤلاء الذين يسمى هذا الرجلان ؟ ! هؤلاء أشرف العرب ومولك الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لظن الأرض حبر من ظهرها

فلما تبين عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة .

وجعل يحرص على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويكي أصحاب الغليب من قريش .

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فتمرد في ساء لمسلمين ودكوهن في أشعاره حتى أدام

فأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لي بأبن الأشرف ؟ » .

فخرج له جماعة من المسلمين وقتلوه ليلاً .

وأصبحت مدينة وليس بها يهودي إلا وهو يحاذي على نفسه .

غزوة أحد

لماذا كانت المهركة ؟

لما أصيب يوم بدر من كهار قريش أصحاب القنيت ، ورجع القنيتون
منهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب وميرة .

مشى رجال من قريش ممن أصيب بأذى وإخوانهم يوم بدر .

فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك الحيرة من قريش
نحوه ، قالوا : يا مشر قريش ، إن محمداً قد جعل بكم عسده ناراً ، وقتل
حيالكم ، فأعينونا بهذا المال على حربه . فقلنا ندرك منه نارنا ممن أصاب
منا ، هموا .

فاحتضت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه العير
أحايشها ، دون أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

ودنا حير من مطعم غلاماً له حبشياً قال له وحشيٌ بقذف بحربة له قدوس
الحبشة ، قلنا يحطى بها قال له . أخرج مع الناس ، فإن أتت قتلت حمزة عم
محمد فأت عتيق

فخرجت قريش بخيلها وحدها وحدها وأحايشها ، ومن ناصها من بني
مكينة وأهل تهامة .

وخرجوا معهم بالنساء والناس الأمة والنصب ، وأن لا يفروا .

فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس ، يهدأينة عتنة .

وكانت هذكل مرثت وحشي أو مرها قالت : وثها أبا دهممة ،
اشف واشف .

فأقبلوا حتى نزلوا مقابل المدينة .

يستشير الشعب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث ينزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقيم وإن هم دخلوها علينا فالتام فيها » .
وكان رأى عبد الله بن أبي بن سؤل مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكرة الخروج .

وينزل على رأى الشعب !

ثم نزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أسرم حبلاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فلبس دوسه ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة .

فما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ؟ فإن شئت فاقعد صلى الله عليك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سعى لبي إذا ليس لأمته »^(١) أن يصمها حتى يقائل .

الخروج للمعركة

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .
حتى إذا كانوا بالشوط - بين المدينة وأحد - انزعول عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثقت الناس .

وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام قتل أعناها بما أيها الناس ؟
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عذوة الوادي إلى الجبل ، جعل ظهره وعسكره إلى أحد .

وتنقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال ، وهو في سبعمائة رجل . وأبتر

(١) لأمته : دوسه .

على الرماة عند الله بن حنبل ، وهو معلم يومئذ شباب يافى ، والرماة خمسون رجلا ، قال . انصح ^(١) الخليل عما بالنبل ، لا يأتونا من خلف ، إن كانت لنا أو علينا فأنك مكانك ، لا تؤتينا من قبلك .

وتبعات قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فارس قد قدحوا ، عملوا على ميمنة الخيل سالم بن الوليد ، وعلى مصرة عكرمة بن أبي جهل .

اللقاء ...

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأحس المدفوف يصري بها خلف الرجل ، يجر خلفهم ، فقلبت هند ما تقول :

ويها بي عند النار ، ويها حاة الأدار ، ضربا تكل متار .
وتقول .

إن تَبَلَّوْا مُعَايِقَ وَفُشِرَ النَّارُ ^(٢)
أَوْ تُدْبِرُوا تُفْلِقَ فِرَاقِ غَيْرِ وَايِقَ ^(٣)
وكانت شمار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ٨ أيت
أيت هـ .

فاقتل الناس حتى حيت الحرب .

مصرع حمزة !

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أسلانا .
قال وحشي : والله إن لأطرا إلى حمزة يهد الناس بسيفه ٠٠٠ وهزرت
حرقى ، حتى إذا رميت منها دهنتها عليه ، هومت في ثلثه ، حتى حرحت

(١) انصح : اذفهم هنا .

(٢) التفارق جمع عرق ، وهي الوسادة الصغيرة .

(٣) الوايق : الحب .

من بين وجيهه ، فأقبل محوى ، فطلب فوضع ، وأمهلكه حتى إذا مات ، حثت ،
فأحدث حربى ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم يكن لى شيء ساحة غيره .
فلما قتل مُصَنَّبٌ سٌ عُبَيْرٌ أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على
ابن أبى طالب .

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فقتلهم بالسيف ، حتى
كشعروهم عن العسكر ، وكانت المزيمة لاشك فيها .
فما رأى رماة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن قد اكشف القوم ،
واهبوموا ، وأن المسلمين عكفوا على الشام ، تركوا أمانتهم ، وحملوا ظهور
المسلمين للحيل ، فأتوا من خلفهم ، وصرخ صرخ : لا ين عمداً قد قتل .
فرجع المسلمون ، ورجع عليهم المشركون .

واكتشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص .
حلف العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بالمعلاة ، حتى وقع
لشفه ، فأصببت رابعته ، وشج في وجهه ، وحرحت شفته ، وحمل الدم يسيل
على وجهه ، وحمل يمسح الدم ، وهو قول : « كيف يُفْلِح قوم حصوا وجه
نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ » .

• فأمر الله عز وجل في ذلك « ليس لك من الأمر شيء » أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فإنهم ظالمون .

وهال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم - : « من رحل
يشرى لنا نفسه ؟ » .

فدم خسه من الأنصار ، صابوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحلا
ثم رحلا .. قتلوا دونه .

ثم رحمت فقه من المسلمين ، فأزالهم عنه .

المرأة تقاتل دون رسول الله !

قالت أمُّ هانئ : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومضى سقاء
فيه ماء .

فاثبتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والمسلمة والنصر
المسلمين .

فلما انهزم المسلمون ، انحزَّت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقت أبشر القتال ، وأدبَّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلعت
الجراح إلى .

قالت : لما ولي الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل رجل يقول .
دثوني على محمد ، فلا يموت إن مجا .

فاعترضت له أما ، ومُصعبُ بن عمير ، وأنسُ من ثقت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فصرني هذه الضربة (كان على عاتقها جرح أجوب
له عور) ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه دِرعان

أروع أمثلة الفدائية

وترأس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجاجة بنمه ، يقع السبل في
حليته ، وهو مُحَنٌّ عليه حتى كثر فيه الذبل .

وربى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكل رسول الله صلى الله عليه وسلم تناوله السبل ، وهو يقول : « رُمِّ فداك
أبي وأمي » .

ماذا تصنعون بالحياة بعده ؟

وانتهى أس بن الصخر إلى عمر بن الخطاب ، وحنطة بن عبيد الله ، في رجال
من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا أيديهم فقال : ما يحلِّكم ؟ .

قالوا : هل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فإذا صنعون بالحياة معه ؟ . فمروا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم استقبل القوم قتال حتى قتل .

عن أس بن مالك قال : لقد وجدنا أس بن البصر يمشي سبعين مرة فاعرفه إلا أخته ، عرفته بفناه !! .

هذا رسول الله

وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك .

قال كعب : عرفت عيسى الشريفيين ترهزان^(١) من تحت المغفر فحدثت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، بشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن « أتيت »

فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بهموا به ، ونهض معهم نحو الشئب . مع أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، ورهط من المسلمين .

أين محمد ؟

فلما أصد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشئب أدركه أين بن حنف . وهو يقول : أين محمد ؟ لانبجوت^(٢) إن نبجوت .

فقال القوم : يا رسول الله ، أبسطف عليه رجل منا ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعُوهُ » .

فلما دأب منه ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوذة ، ثم استقبله فطعنوه ، فعلقه طعنة مال منها عن فرسه مراراً .

قلت عدو الله كُـرِف ، وم فاطون به إلى مكة .
 حين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك العرب من أصحابه
 بدعت عالية من قريش الجبل .

كان على تلك الحيل خالد بن الوليد .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني لأبغض لهم أن يفلحوا » .
 فأتى عمر بن الخطاب ، ورعظ معه من المهاجرين ، حتى أهبأهم
 من الجبل .

وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظاهر يوم أحد قاعداً ، من الجراح التي
 أصابته ، وصلى المسدون حمله قعوداً .

هند تمثل بحمزة !

وروقت هند بنت عتبة ، والسوء اللاني معها ، يُمتلن بالنبي من أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . بطن الآذان والآف ، حتى أتت هند من
 آذان الرجال وآتهم حلاحيل وفلائد !

وأعطت هند حلاحيلها ، وفلائدها ، وقِرَحَتها وحشياً . قاتل حمزة -
 وشقت من كد حمزه قمصتها ، فلم تستطع أن يبعها ، فبعتها !!
 ثم علت على صخرة مشرفة فصرحت بأعلى صوتها ، فقال -

شَئِيتُ نَفْسِي وَقَصِيتُ بَدْرِي شَئِيتُ وَحْشِيَّ غَلِيلَ بَدْرِي
 شُكْرُ وَحْشِيَّ عَلَى شُكْرِي حَتَّى نَرِمَ^(١) أَعْطَسِي قَبْرِي

انتهاء المعركة

والعرب أبو سفيان ومن معه ونادي : إن موعدكم بدر للعام القابل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه « قل نعم ... هو
 أيضا ويملك موعد » .

لن أصاب بمثلك أبداً..

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يفتش حمرة من عبد المطلب ، فوجد
 بطن الوادي قد يقر بطنه عن كبده ومثل به ففعل أنه وأزناه .
 ولما وقع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمرة قال : « لن أصاب
 بمثلك أبداً ، ما وقعت موقفاً قط أغبط إلى من هذا » .

ادفونهم حيث صرعوا

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، هدموم بها .
 ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادفونهم حيث
 صرعوا »
 وكانوا يدفون الاعمى والثلاثة في القبر الواحد ! .

فما فعل رسول الله ؟

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راحماً إلى المدينة
 ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب
 روحها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد .
 فصا نعو لها قالت . فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
 قالوا : حيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كاتمين .
 قالت : أرويه حتى أنظر إليه .
 فأنشبر لها إليه ... حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك صنيعة ! .
 لم تعكر في قتلاها ، وإنما فكرت في صاحب الرسالة ! .
 وهكذا كانوا ... ومن هنا حطوا في الأرض ، وخذلوا في السماء .

إرهاب العدو

وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال ، من السنة الثالثة
من الهجرة .

فلما كان العد من يوم الأحد ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في السلس بسب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يحرم مننا أحد إلا حضر
يومنا بالأمس .

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتباً للعدو ، وليتفهم أنه خرج
في طلبهم ليصوا به قوة ، وأن النبي أصابهم لم يرههم عن عنوم .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ،
وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الليلين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع
إلى المدينة .

هذا وجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والأنصار في غزوة أحد ، سبعون رجلاً .
وجميع من قُتل يوم أحد من المشركين ثمان وعشرون رجلاً .

غزوة الجندق

يوم الرجيع

ثم قلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد ركعته ، قالوا : يا رسول الله ، إن فئتنا إسلاماً ، فأنصت معنا نقرأ من أحكامك يفتهمونا في الدين ، ويفرؤنا القرآن ، ويصلحونا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ستة من أصحابه .
فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء هذيل شاححة الجوارح -
عذبوا بهم .

ثم قالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن يصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

ثم قتلوا بعضهم بالطريق ، واحتملوا الباقي إلى مكة أسارى
فباعوهما من قريش - سحر بن من هذيل كانا بمكة
فأساع حبيبتا حنظل بن أبي إهاب

وأما ريد بن الأئمة فابشاعه صعوان بن أمية لينقله نبيه أمية بن خلف .
ومث به صعوان بن أمية مع مولى يقال له - سَطَّاس - إلى التميم ، وأخرجوه
من الحرم لينقله .

واجتمع رهط من قريش معهم أبو سعيان بن حرب ، فقال له أبو سعيان
حين قدم ليقتل : أشدُّك الله يا ريد ، أتُحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك
نضرب عنقه ، وأنت في أهلِكَ ؟

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
تؤذيهِ ، وأنى جالس في أهلي .

قال أبو سعيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً ، كحب أصحاب

محمد محمداً 11

ثم قتل سَطَّاس .

وأما خبيبٌ ، فحين خرجوا به إلى التميم ليصلوه قال لهم : إن رأيتم أني
تسموني حتى أركع ركعتين فاضلوا .
قالوا : هونك فاركع .

فركع ركعتين أتمها وأحسنها ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لو لا
أن تعلموا أنني إنما طوَّلتُ جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .
فكان حبيب أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .
ثم رفضوه على خشبة ، فلما أوتقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك
فلنَّه الفداء ما يصنع بنا .

ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، وانقلهم بدناً^(١) ، ولا تفادر منهم أحداً .
ثم قتلوه ...

وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... حب لرسول ...
وحب لدينهم ... وشهادة تتبعها شهادة في سبيل الله .
ولم تقف التصحية في سبيل الدعوة عند هذا الحد ، ولكن هناك ما هو أكبر
من قتل أولئك الستة ؟ !

مصرع أربعين آخرين !

قدم أبو تراب ، عامر بن مالك ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وقال : يا محمد ، لو بعث رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد مدعوهم إلى أمرك
رَحِمْت أن يستعجروا لك ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أخشى عليهم أهل نجد » .
فأبو تراب : أنا لم حارته ، فأنشهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عروة في أربعين رجلاً
من أصحابه من خيار المسلمين .

(١) بدداً فرأى

خساروا حتى نزلوا بئر معونة

فلما نزلوها بشرا أحدهم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله
عاصم بن الطائفيل .

فلما أناء لم يظفر في كتابه حتى هجم على الرجل قتله .

ثم استصرخ عليهم قبائل من عَصِيَّة ، وَرَيْعَلٍ ، وَدَكْوَلٍ ، فخرجوا
حتى أحاطوا القوم .

ظما رأوهم أحلوا سيوفهم ، ثم قاتلهم ، حتى قتلوا عن آخرهم

وذهب الأرمعون ... شهيداً في سبيل الدعوة !

ومحاولة لاغتيال رسول الله !

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ، يستعينهم في دية
قتيلين من بني عاصم .

فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذبلك القتلين ،
قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت بما استعنت بنا عليه .

ثم حلا بعضهم ببعض .

فقالوا : إنكم لن تجلدوا الرجل على مثل حاله هذه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب حدارٍ من يوشم قاعد .

قالوا : فنرجس يلو على هذا البيت ، يلقى عليه صخرة يرمينا منه !

فأتدب لذلك عمرو بن حنّاش ، فقال : أنا لذلك

صعد ليلقي عليه صخرة

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر

وعلى ، وصوان الله عليهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير من السماء ، بما أراد القوم ،

فقال ، وخرج راحياً إلى المدينة .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتجهيز لحرب اليهود والسير إليهم .
 واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم
 ثم سار بالناس حتى وصل بهم . وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع
 من الهجرة .
 فحاصروهم فيها ست ليال .
 وولّ تحريم الخمر ...

اجلاء يهود بني النضير

فحصنوا ما في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع الخيل
 والتحريق فيها .
 فلما دونه : يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتقيه على من معه ؟ فلما بال
 قطع الخيل وتحريقها ؟
 وقد كان رطل من بني عوف بن الخزرج - منهم طه بن عبد الله بن أبي
 ابن سؤل - قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمسكوا بما فيكم ،
 فإن قوتكم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم حرجنا معكم .
 فتريسوا ذلك من نصرهم ... فلم يفعلوا .
 ونفذ الله في قلوبهم الرعب . وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يجيبهم ، ويكشف عن دعاتهم ، على أن لهم ما حلت للإبل من أموالهم
 إلا السلاح .
 ففعل ...

فاحتلوا من أموالهم ما استلقت به الإبل
 فخرجوا إلى حبير ، ومنهم من سار إلى الشام
 خرجوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الأثرف والزماير والجواري
 صرغف حطبهم !

وحلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضمها حيث يشاء .

فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار .

وزل في بني النضير سورة الحشر بأمرها .

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد عروء بني النضير شهر وبيع الآخر وبعض جهدي .

ثم عزنا نجداً . . . ونما قبل لها غزوة ذات الرقاع لأهم دفعوا فيها رايهم .

حتى نزل نحرنا - م م صبع بنجد من أرض عطفان - فلقى بها حملاً عظيماً من عطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس منهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسياس مسلالة الخووف ، ثم انصرف بالناس .

ألا أقتل لكم محمداً ؟

ثم إن رجلاً من بني محارب يقال : عؤثرث . . . قال لعمري من عطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟

قالوا : بلى ، وكيف قتله ؟

قال : أحتك به .

فأقبل بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاس ، وسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره .

فقال : يا محمد . . . انطأ إلى سمك هذا ؟

قال : نعم . . . وكان نحلي بجمعة .

فأخذه فاستأله ، ثم جبل يهود ، ورسم فيسكت الله .

ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟

قال : « لا ، وما أخافُ منك ؟ » .

قال : أما تخافني ، وبي يدي السيف ؟

قال : « لا ، ينعني الله منك » .

ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وردد عليه ! .

غزوة بدر الآخرة

ثم خرج في شبان إلى بدر ، سنة أربع من الهجرة ، ليصلوا أبي سفيان ، حتى تزل .

فأقام عليه ثمانى ليل ينتظر أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى بلغ عسما ، ثم بدا له في الرجوع ، فخرج الناس .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان ليماده ، ولكن أبا سفيان آثر العودة إلى مكة ! .

غزوة دومة الجندل

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيدا .

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق ، في شوال ، سنة خمس من الهجرة

وكان من حديثها أن غزا من اليهود ، خرجوا حتى قلعوا على قريش مكة ،

مدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا نسكنون

معكم عليه حتى يتأصله .

قالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والسلام
 بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟
 قالوا : بلى دينكم خير من دينه ، وأنتم أولي بالحق منه .
 فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشيطوا لما دعَوا إليه من حرب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

فاجتمعوا عليك ، واتخذوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطان ، فسوم إلى حرب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن
 قريشاً قد تابسوم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان من حرب ، وخرجت غطان وقائدها
 صبيئة بن حصن .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجبراه من الأمر ،
 صرب الحندق على المدينة .

فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعياً للمسلمين في الأجر .

وعمل معه المسلمون فيه ؛ فذاب فيه ودأبوا

وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك
 رجال من المنافقين ، وحملوا يسترون بالضعيف عن العمل ، وينشطون إلى أهلهم
 بصير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعمل المسلمون فيه حتى أحكوه .

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحندق أقبلت قريش حتى نزلت
 في عشرة آلاف من أحاديثهم ، ومن تبهم من بني كنانة وأهل تهامة

وأقبلت غطان ومن تبهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى حاب أحد .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا يهودهم إلى سلم ،
 في ثلاثة آلاف من المسلمين .

فصرب هناك معسكره ، والتلحق بينه وبين القوم .

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وأمر بالذراري والنساء فحُطوا في الحصون .

غدر اليهود

وخرج عنده الله حُيَ بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد ، وكان قد وادع

رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده .

فقال حُيَ : ويحك يا كعب ، حشك بمن الدهر ويحترطام . . . حشك

مقرئش ، على قاداتها وساداتها ، حتى أرتبهم بتجميع الأسبيل من دومة .

وصطفان على قادتها وساداتها حتى أرتبهم إلى جانب أحد ، قد عاهدوني

وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

ثم برح حُيَ بكعب ، حتى عفر كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان

بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غدر ، وإلى المسلمين ، نعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم عرا من نحابة ، يظرون حقيقة الغدر

لخرحرا حتى أتوهم ، فرجدوهم على أخبث ما ملهم عنهم .

نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ !

لأعهد يميناً وبين محمد ولا عدا .

ثم قيل أولئك الشر وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر » . فشرروا بأعشر المسلمين .

وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الحروب ، وتنام عندهم من فرقهم ومن

أسس بينهم .

حتى طرد المؤمنون كل من

وعداه من بعض المنافقين ، حتى قال أحدهم : كان محمد يمدنا أن

فَأَكَلَ كَبُوزَ كَسْرَى وَقَبِصَر ، وَأَحَدًا الْيَوْمَ لَا بَأْسَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَنْقَبَ
إِلَى النَّسَاطِ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ يَضَعًا وَعَشْرِينَ
لَيْلَةً قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ .

لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرَّمْيَ بِالنَّبْلِ وَالْحَصَارِ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالسُّلُومُونَ ، وَعَمْدُومٌ مَحْاصِرُومٌ ، وَلَمْ
يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ، إِلَّا أَنْ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ عَمْسُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ ،
تَبِعَهُمْ وَأَسْكَنَهُمْ ضَيْقًا مِنَ الْخَنْدَقِ ، فَمَرُّوا خِيُولَهُمْ فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ، وَخَرَجَ
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي نَعْرَمَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى أَحْضَوْا عَلَيْهِمُ الشُّقْرَةَ الَّتِي
أَتَقَمُّوا مِنْهَا خَيْبَهُمْ .

وَقَتَلَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَمْرُو ، وَحَرَجَتْ حَيْلُهُمْ مِنْزِعَةً ، حَتَّى أَتَتْ
مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِمَةً .

وَكَانَ شَطْرَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ « حَمِ
لَا يُنْصَرُونَ » .

إِنْ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ

ثُمَّ بَنَى عَطْفَانُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، إِنْ قَدْ أَسَمْتُ وَإِنْ قَوْمِي لَمْ يَسْمُوا بِإِسْلَامِي ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْمَا أَنْتَ فِتْنَارُ جِلٍّ وَاحِدٌ ، فَعَدِّلْ
عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ » .

مُخْرَجٌ بَعِيٍّ حَتَّى آتَى بَنِي قُرَيْظَةَ . وَكَانَ لَهُمْ مَذِيمَاتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - قَالَ : يَا بَنِي
قُرَيْظَةَ . . . إِنْ قُرَيْشٌ وَعَصْنَانُ نَبِئُوا كَاتِبًا : أَلَا تَدْرِكُكُمْ ، هِيَ أَمْوَالُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ
وَسَائِرُكُمْ ، لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَحُولَ أَمْرَهُ إِلَى بَيْرِهِ ، وَإِنْ قُرَيْشٌ وَعَصْنَانُ قَدْ جَاءُوا
لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَدْ خَافَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ ، إِنْ رَأَوْا فُرْصَةً أَصَابَوْهَا ، وَإِنْ كَانَ

مير فاك لحتوا بيلادم ، وغلوا بينكم وبين الرجل يسلمكم ، ولا طاقه لكم به
إن خلاكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشراهم ، يكرتور
بأيديكم حتى على أن تقاتلوا معهم محمداً ...
فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال
قريش : قد سموا أن مضر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد
أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرصيك أن تأخذ لك من القبيطين ،
من قريش وعطفان ، رجلاً من أشراهم ، فنعطيكهم ، فتصرب أعناقهم ،
ثم تكون مملك على من يقى منهم حتى تستأصلهم ، فإن نشت إليكم يهود
يلتصسون منكم رهناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج إلى عطفان ، فقال لهم مثل ما قال قريش ، وحذرهم ما حذرهم .
فلما كانت ليلة السبت من شوآن سنة خمس من الهجرة ، أرسل أبو سفيان ،
ورمى عطفان ، إلى بني قريظة أن أعدوا للقتال حتى تنأجر محمداً وغرغ مما
بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا يعمل فيه شيئاً ، ولما
مع ذلك بالذين قاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، فإننا نحشى أن
تتركونا والرجل في يدهنا ، ولا طاقه لنا بذلك من .

فلما رحت إليهم الرسل بما قالوا ، قالت قريش وعطفان : والله إن الذي
حدثكم نعيم لحق .

فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا
هذه كنتم تريدون القتال فاحرجوا قاتلوا .

فالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا . إن الذي ذكركم
لكم نعيم لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة اشبهوها .

وإن كان غير ذلك اشعروا إلى بلادهم واخلتوا بينكم وبين الرجل في بهكم .
فأرسلوا إلى قريش وعطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى
تقتلوا ناراً هنا .

ثأبوا عليهم وبعثوا الله إليهم .

وبعث الله عليهم الريح في ليل شتية ، باردة ، شديدة البرد .

فجئت نكفاً قد ورهم ، وتطرح أبنيتهم .

فلما رأى أبو سفيان ذلك قال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم
بدار مقام ، لقد هلك الحبل والإبل ، وأهلكنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي
نكره ، ولينا من شدة الريح ما نردون ، بما نقصن لنا قديراً ، ولا قوم لنا نلو
ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مؤتمحل .

ثم ظم إلى حله ، ثم ضربه فؤاب به .

وسمعت عطفان بما فعلت قريش من ارتحلتها ، فاشعروا راحمين إلى بلادهم .

غزوة بني قريظة

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق ، راجعاً

إلى المدينة ، ولسلمون ، ووضعوا السلاح

فلما كانت الظهر أتى جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وقال له : إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالسور إلى بني قريظة ، فإني غامد إليهم

فمركول بهم

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فاذن في الناس : « من كان

سليماً مطيعاً فلا يعلين المعسر إلا بيني قريظة »

يا إخواني القردة !

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه بوابته

إلى بني قريظة

وابتدروا الناس .

فسار على بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقلة قبيصة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

مرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، قال : يا رسول الله
لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث .

قال : « لم ؟ أأنتك سمعت منهم لى أذى ؟ » .

قال : نعم يا رسول الله .

قال : « لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً » .

فمد يدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : « يا إخواني
القرود ، هل أحرأكم الله وأنزل بكم قمته ؟ » .

قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد النساء الآخرة .

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة

حتى جهد هم الحصار ، وقدف الله في قلوبهم الرعب

فلما أصبحوا ، برلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حواجث

الأوس قالوا : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، إنهم كانوا موالينا دون

الخزرج ، وقد هلت في موالى إخوان بالأس ما قد علمت .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل بى قريظة - قد حاصرهم

قيمتاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فبرلوا على حكمه ، فأناله إياهم عبد الله بن أبي ،

فوهبهم له .

هذا كله الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ترصون بمشتر

الأوس أن يحكم بينهم رجلٌ مكم ؟ » .

قالوا : بى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فذاك إلى سعد بن معاذ » .
قال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله ، وبيثاقه إن الحكم فيهم
كما سكت ؟ .

قالوا : نعم .

قال : وعلى من علمنا ؟ .

في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » .

وقال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسمي

القدراري والنساء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .

ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، في دار
بنت الحرث ، امرأة من بني النجار .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، فخلق بها خلق .

ثم بعث إليهم ، فصرب أعناقهم في تلك الحنادق .

يُخرج بهم إليه طائفة بعد طائفة ، وفيهم عبدو الله حبي بن أخطب ، وكعب

ابن أسد وأس القوم .

وكانوا بين الثمانمائة والتسماية .

وقد قالوا لكعب بن أسد ، وم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم أرسالا : يا كعب ، ما أرام يضع بنا ؟ .

قال : « في كل موطن لا تملكون ؟ » . ألا ترون الناعي لا ينزع ، وأنه من

ذهب به منكم لا يرجع ؟ ! هو والله القتل .

فلم يرك ذلك للأب ، حتى فرع منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتى يحيى بن أخطب ، عدو الله ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما كنت نفس في عداوتك ، ولكم من يحذل الله يحذل .
ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتب وفقر ، وملحة كتبها الله على نبي إسرائيل .
ثم جلس ، فصربت عنقه .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة وساجر وأبنائهم على المسلمين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى لعمه من فائهم ورحمته بنت عمرو ، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى عنها وهي في ملكه .

وأُتزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بني قريظة من القرآن القصص في سورة الأحزاب .

وفاة سعد بن معاذ

فلما انتهى شأن بني قريظة ، أصعر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

شهداء يوم الخندق

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة منهم سعد بن معاذ .
وقتل من المشركين ثلاثة .

مصرع سلام بن أبي الحقيق

ولما انتهى شأن الخندق ، وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما أدت الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل سلام ، وهو بحير ، فاذن لهم .

مخرج إليه من الخرج حصة ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن عتيك ، ونههم أن يقتلوا وليداً ، وأمرأه .
فخرجوا حتى إذا قدموا حيرآة ، داره ليلاً . وصروه بأسياهم حتى قتلوه .
ثم عادوا ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بقتل
عدو الله .

اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن غنلق ، حمت
وجالاً من قريش كانوا يرون رأيت ، ويسمعون مني ، قلت لم تعلموا والله إنني
أرى أمر محمد يمد الأمور علواً منكراً ، وإنني لقد رأيت أمراً فأترون فيه ؟
قالوا : وماذا رأيت ؟

قال : رأيت أن تلحق بالبحاشي فنكحهم عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا
كما عند البجاشي ، فإنما أن نكون تحت بديه أحب إلينا من أن نكون تحت
يدى محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتيهم إلا خير
قالوا : إن هذا الرأي

قال : هو الله إنا لعدو له : جاء عمرو بن أمية - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم قد نثته إليه في شاة حمراء وأسماه - فدخل عليه ، ثم خرج من عنده .
فأتى لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على البجاشي لآتته يده
فأعطانيه فصرمت عنه ، فإذا كنت ذلك رأيت قريش أي قد كنت مقامها حين
فكنت رسول محمد .

قال ، فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ثم قد - له - أيها نيك ،
إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطته
لأهله . فبه قد أصاب من أشرافنا وحيارنا .

فغضب وقال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر
الذي كان يأتي موسى لفتنه ١٩ .

قلت : أيها الملك ، أگذا لك هو ١٩

قال : وبحك يا عمرو ١١ أطلني وانيه : فإنه والله ليلي الحق ، وليظهرني
على من حاله كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .
قلت : أهيأيني له على الإسلام ؟ .
قال : نعم .

بسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد تحول رأيي
عما كان عليه ، وكنت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت معلماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم .
فلقيت خالد بن الوليد - وذلك قبل الفتح - وهو حقل من مكة ، قلت :
أين يا أبا سليمان ؟ .

قال : والله لقد سين الأمر ، وإن الرجل سي ، أذهب والله فأسلم .
فخني متى ١٩ .

قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم .
فصلنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد
فأسلم وبايع .

ثم دوت قلوب : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُعمر لي ما تقدم من
ذمّي ، ولا أذكر ما تأخر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام
يُحْتَمَى^(١) ما كان قبله ، وإن الميعة تهب ما كان قبلها » .

وقالوا : إن عثمان بن طلحة كان معها ، أسلم حين أسما .

زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان

قالت أم حبيبة : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ،
حارية يقال لها أبرهة ، فاستأذنت علي فآذنت لها ، قالت : إن لك بقول لك
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلي أن أزوجه .
قلت ، شرك الله بالخير .

وقالت : بقول لك الملك : وكل من يزوجه .

قالت : فأرسلت إلى خالد بن سميد بن العاص فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين
من فضة ، وخواتيم من صفة في كل أصابع رجلي سروراً بما بشرني به .
فما أن كان من الشيء ، أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ، ومن كان هناك
من المسلمين أن يحصروا .

وحطب النجاشي وقال : الحمد لله ، الملك القلوس المزمع العزى الحمار ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه ألقى بشري به عيسى بن مريم
أما بعد ... فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت
أبي سفيان ، فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها
أربع مائة دينار .

ثم سكب الدماير بين يدي القوم .

فصلى خالد بن سميد فقال : .. أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدماير إلى خالد بن سميد ، فقبضها .

ثم أرادوا أن يقرموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن
يؤكل طعام على الزوج ، فدعا طعام ، فأكلوا ، ثم تفرقوا .

زواج زينب بنت جحش

تزوجها عليه السلام سنة خمس من الهجرة ... في ذى القعدة ... بعد
بني قريظة .

وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة : فسكنت عند زيد قريباً من سنة ،
ثم وقع بينهما خلاف ، فغاء زوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك
ثم طلقها زيد ... فلما انفقت عدتها تمت إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مطابها إلى نفسه ، ثم تزوجها .

نزول الحجاب صديحة عرسها

وكان نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين .
عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيب
بنت جحش دعا القوم ، فجلسوا وجلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتبها للقيام فلم يقوموا
فلم رأى ذلك قام ، فقام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، وجاء النبي صلى الله
عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس . ثم إياهم قاموا فاطلقوا ، فحقت فأجبرت
النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد اطلقوا فجاء حتى دخل ، فدخلت أدخل ، فالتقى
الحبيب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي) الآية . (البخاري)

وذلك الآية هي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا
أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم
فانقشروا ولا مستأنين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيمتحي منكُم والله
لا يستحي من الحق ، وإذا سألتهم من متاعاً فاسألوهم من وراء حجاب ، ذلكم
أظهر لقلوبكم وقلوبهم ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا
أرواحه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً . إن تبدوا شيئاً أو تخفوه ،
إن الله كان بكل شيء عليماً) .

صُلَحُ الْحَدِيثِ

نحن الآن في سنة ست من الهجرة ، وهي السنة التي كان في أوائلها ...

غزوة بني لحيان

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ... وخرج على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان .
وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غيرة .
فخرج من المدينة ، واستعمل عليها ابن أم مكتوم ... فوجدهم قد حذروا ، وتمسكوا في رؤوس الجبال .

فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخطاه من غررتهم ما أراد فل .
« لو أننا حملنا عنفل لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة » .
فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى رل عثمان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع النسيم ... ثم كر ٢ .
وداح رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلا .

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ، فلم يبق بها إلا ليالي قلائل حتى أظار عينته بن حصن في جبل من غطاه على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبابة ، وفيها رجل من بني عكر وامرأة له ، قتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة في الإبل .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فصرخ بالمدينة الفزع . - الفزع .
فترامت الحيلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما احتشروا إليه ، أمر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : « اخرج في طلب القوم حتى ألقاك في الناس » .
وكان أول فارس لحق بالقوم عُمرُ بن نُفلة وحمل عليه رجل منهم قتله .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنين ، واستعمل على المدينة
ابن أم مكتوم .

فقتلوا من لحقوا به من الأعداء ، واستنقذوا بعض الإبل
وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رمل ببجل من ذي قرد ، ولاحق به
الناس ، وأقام عليه يوماً وليلة .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً حتى قدم المدينة .
وأتت امرأة العماري على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
قدمت عليه فأخبرته الخبر .

غزوة بني المصطلق

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة خمس حملي الاحمره ورحاً ،
ثم عزاً بني المصطلق في شعبان سنة ست من الهجرة
واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له ، فلما سمع بهم
خرج إليهم ، حتى لقبهم على ماء لم يقال له « المر يسع »
فراحف الناس ، واقتله ا ، فهدم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم .
وعثم رسول الله صلى الله عليه وسلم أساءهم وساءهم وأموالهم .

ليخرجن الأعز منها الأذل

فما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الده . وردت وارده الناس ، ومع عمر بن الخطاب
أجير له من بني عفار يقال له جهجاه قود فرسه .
فأردحم جهجاه وسنان بن ورا الجهني ، حبيب بن عوف بن الخرج
على الماء .

فاقتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأصغر
وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين .

فغضب عبد الله بن أبي بن سويل ، وعنده رطل من قومه فيهم زيد بن أرقم
علام حدث ، قال : أوقد صوها ؟ قد نأرونا وكأثرونا في بلادنا ، والله ما أتدنا
وحلايب قريش هذه إلا كما قال الأول « سَنَ كُتَيْكَ يَا كُتَيْ » أما والله لئن
وجدنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فغشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك
عند فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر
ابن الخطاب قال : مَرَّ به عَمَّادُ بْنُ بَشْرٍ فَلْيَقْتَلْهُ .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف بأمر إذا تحدث الناسُ أني
محمداً يقتلُ أصحابه ؟ ! لا ، ولكن أذن بالرحيل .

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها .

فارتحل الناس . .

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سويل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
- حبيب بلده أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه - فخلب بالله ما قلت ما قال ،
ولا تكلمت به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً . .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ،
وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ،
فلم يلبثوا أن وحدوا من الأرض فوقوا نيلماً .

وإعما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يشغل الناس عن الحديث
الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

وذكرت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين

وأنى عبد الله - ابن عبد الله بن أبي - رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بينك وبينه
فإن صككت لا بد فأعيا قمرى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد عظمت

أخرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن يأمري به غيبي
فقتله ، فلا تدعني حتى أطر إلى قاتل عبد الله بن أبي عشي في الناس ، فأقتله .
فقتل رجلا مزمنا بكافر ؛ فأدخل النار .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل تترقب به وتحسن محبته
ما بقي منا » .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث ، كان قومه من الذين يأتونه ، ويأخذونه
ويعصونه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسمر بن الخطاب - حين بلغه ذلك من
شأنهم - « كيف ترى يا سمر ؟ » أما والله لو قتله يوم قلت لي أقتله لأرعدت
لأنك لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » .

قال عمر : قد والله علمت لأسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة
من أسرى .

هذا وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق « يا مصور أيت أيت » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبعا كثيرا .
فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

زواجه جويرة بنت الحرث

وكان حين أصيب يومئذ من السبايا جويرة بنت الحرث بن أبي ضرارة ، روج
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن
أبي ضرارة عداء الله .

هذا كان الحقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها الفداء فرعب في مبرين منها
فبيعهما في شعب من شعاب الضيق .

ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا محمد ، أصبتم اغنى وهذا فداؤها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران المذار عيبتهما بالحقين
في شعب كذا وكذا ؟ .

قال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ، هو الله
ما أطلع على ذلك إلا الله ! .

فأسلم الحارث . وأسلم معه اثنان له ، وناس من قومه .

وأرسل إلى البعيرين ، جاء بهما ، فدمع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ودفعت إليه اثنتي عشرة جارية ، فأسلمت وحسن إسلامها .

فقطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبيها : فزوجها ياما ، وأصدقها
أربعمائة درهم .

وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، حتى إذا كان قريباً
من المدينة ، وكانت معه عاتكة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

حديث الإفك

قالت عاتكة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع
بين نسائه فأبتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه .

فلما كانت غروة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي
عليهن معه .

فخرج بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الفناء إذ ذاك إنعاماً يأكلن
المكَّنَّ^(١) ، لم يبيجن^(٢) اللحم ميتكن ، وكنت إذا رُحِل لي بغيري جلست في
مردجى ، ثم يأتي القوم الذين يرحدون لي ويحملوني ، فيأخذون بأسفل المردج
فيصوبونه فيضمونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير
فيطلقونه .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وحده قالوا .

(١) المكَّن : طعامهم كان ظهلاً . (٢) البيجن : انتفاح الجسم .

حتى إذا كان قريباً من المدينة رزق منزلاً ، عاش به بعض الليل .

ثم أذن في الناس بالرحيل .

فارتحل الناس .

وحررت لعمى حاجتي ، وفي عيني عِقْدٌ لي فيه خزعُ طَعَابٍ^(١) ، فلما فرغت .

اسكَلْتُ من عيني ولا أدري .

فما رحمت إلى الرحل ، ذهبت ألتقي في عيني فلم أحده .

وقد أخذ الناس في الرحيل .

فرجعت إلى مكان الذي ذهبت إليه فالتفت حتى وجدتني .

وجاء القوم حلاً في الذين كانوا يرحلون إلى البير ، وقد فرغوا من رحلتهم ،

فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أسمع ، فاحتلوه فشدوه على البير ،

ولم يشكروا أنني فيه .

ثم أخذوا برأس البير فأنطلقوا به .

فرجعت إلى العسكر وما فيه من دافع ولا محب ، قد انطلق الناس .

صنعتُ بجلبي ثم اصصحت في مكاني ، وعرف أن لو قد افتقدت

لرُحمتي

موا الله إني مصطبحةٌ إذ مر لي صفوانُ بن المطلب السلمي ، وقد كان تخلف

عن العسكر ليمض حاجاته ، فلم يبق مع الناس .

فراى سرادى^(٢) ، ففيل حتى ذهب على ، وقد كان يراني قبل أن يذهب

عليها الحجاب .

فما رأني قال : يا الله وإياك إليه راجعون ، فطعنة رسول الله صلى الله عليه

وسم ؟ !

وأما متلعة في ثياني .

(١) الخزع : الحرر . وشعار : اسم المدينة . (٢) شامي

قال : ما حلفت برحمت الله ؟

فأكلته . ثم قرَّب البحر فقال : لو كفى ، واستأجر عني .

فركت ، وأخذ برأس البعير ، فاطلق سرياً يطلب الناس

فراقه ما أدركنا الناس ، وما فتحت حتى أصححت وزل الناس .

فلما احتملوا طلع الرجل يقرئ ، فقال أهل الإبل ما قالوا : فارتفع^(١)

العسكر ، ووالله ما أعلم شيء من ذلك .

وقالت : ثم قلنا لندبة فلم ألت أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يسمي

من ذلك شيء

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أيوب ،

لا يدكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أني قد أسكرت من رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي .

كنت إذا اشتكيت رحمتي ولطف لي : فلم بعض ذلك لي في شكواي تلك

فأسكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على وعندي أمي تمرصني قال : كيف نيكتم ؟

لا يزيد على ذلك .

حتى وجدت في نفسي ، قلت : يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من

حنانه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أي فرضتني ؟

قال : « لا عليك » .

فانتقلت إلى أمي ولا علم لي شيء مما كان ، حتى يذهب من وحيي بعد

بضع وعشرين ليلة

وكنا قوماً عرباً ، ولا نتحدث في بيوتنا هذه الكتب التي تتحدثها الأعاجم

بها وسكرها ، إنما كنا نذهب في فتح البنية ، وإنما كانت النساء يخرجن

كل ليلة في حوائضهن

(١) فارتفع : تحرك وامطرب .

تفرجت ليلة لعمري حاقق ومي أم مسطح . . . وكانت أمها خالة
أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرطها^(١) قالت : نس مسطح .

قلت : نس لعمري الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرأ ؟

قالت : أو ما لنتك انظير يا بنت أبي بكر ؟

قلت : وما انظير ؟

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك .

قلت : أو قد كان هذا ؟

قالت : نعم والله لقد كان !

فوالله ما قدرت على أن أقصي حاقق ورحمت !

فوالله ما دلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي .

وقلت لأبي : يغفر الله لك ، تحدثت النفس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي

من ذلك شيئاً ؟

قالت : أي بنية حنفي عليك الشأن ، فوالله قلنا كانت امرأة حسنة عند

رجل يحبها لما ضرائر إلا كثرت وكثر الناس عليها .

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يحط بهم ولا أعلم بذلك

لحمد الله وأنتى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوني في أهلي

ويقولون عليهم غير الحق ؟ » والله ما علمت منهم إلا خيراً ! ويقولون ذلك لرجل

والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي !

وكان كثير ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع

مع النبي قال مسطح ، وحنة بنت جحش ، وذلك أن أختها ربيب بنت جحش

كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تسكن من سائر امرأة تنصيني

(١) مِرطها : كسما .

في المروة عنده غيرها ، فأما رينب فصصها الله تعالى بديتها ، فلم قل إلا خيراً ،
وأما حنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت نضادق. لأختها ، ففتيت بذلك .
فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيدُ بن حضير يارسول
الله ، إني يكون من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج
هزنا بأمرك ، فوالله لهم لأهل أن نصوب أعناقهم .

فقام سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال : كذبت
لعر الله لا نصرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم
من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ماقت هذا .

فقال أسيد : كذبت لعر الله ، ولكنك مُدعك تجادل عن المطعنين .
وتسأور السلس ، حتى كاد يكون بين هذين العيين من الأوس
والخزرج شر .

ورب رسول صلى الله عليه وسلم فدحل صلى ، فدعا صلى بن أبي طالب رضوان
الله عليه وأسامة بن زيد فاستشارهما .

فأما أسامة فأتى على خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله ، أهلك ولا تسلم
إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل .

وأما على - فإنه قال : يارسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنت لقلار على أن
تستحلف ، ولسر الجارية إنها تصدقك .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيْرَةَ لبعها .

فقام إليها على بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : أصدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتور : والله ما أصم إلا خيراً ، وما كنت أحب
على عائنة شيئاً إلا أني حكيت أعجب عيني فأمرها أن تحمطه فنام عنه فتأتى
النساء فتأكله .

ثم دحل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدى أبواى ،

وعلى امرأة من الأنصار . . . وأنا أسكني وهي تسكني ، فجلسوا
الله وأثنى عليه ، ثم قال : « يا عائشة . . . إنه قد كان ما قد بكتك من قول الناس ،
فأتى الله فإن كنتي فارقت سوماً مما يقول الناس فهو إلى الله فإن الله يعل
العوبة من عباده » .

فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلت : « وصي حتى ما أحسن من شيئا
واستظرت أبوي أن يجيئا حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما !
وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر في نفسي أن ينزل الله في
مرآنا يُقرأ به في المساجد ويُصلَّى به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئا يكذب به الله عني ، لما يعلم من براءتي ،
أو يخبر خيرا ، فأما قرآن ينزل في فوائده لنفسي كات أحقر عندي من ذلك .
فسلم أرا أبوي يتكلمان قلت لهما : ألا تبجيان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ !

قالا : والله ما ندري بلنا نجيه ! .

ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام .
فلما أن استنصحا على استعبرت بكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله بما
ذكرت أبداً ، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يسلم أي منه
يربنا لأكون ما لم يكن ، ولئن أنا أسكرت ما يقولون لأصدقوني .
ثم التفت اسم يغرب قفا أذكره !

قلت : ولكني سأقول كما قال يوسف « ضربه جميل » والله للثمان
على ما صنون » .

فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمله حتى تنفاه من الله
ما كان ينشأه ، فبجى بشوبه ، ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه .

فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرحت ولا باكيت ، قد
عرفت أني منه بريئة ، وأن الله صر وجل غير ظالي .
وأما أبرار فواللهي نفس عائشة بيده ما سري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنهن فرقا من أن يأتي من الله تحقيق
ما قل الناس .

أبشري يا عائشة

ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مجلس ، وإني ليتحدروا منه مثل
الجبان في يوم شلت ، فجعل يمح المرقع عن جبينه ويقول : « أبشري
يا عائشة ، قد أنزل الله بركاءك » .
قلت : بحمد الله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك .
ثم أمر بمسطح بن أناة ، وحسان بن ثابت ، وسمكة بنت جهم -
وكانوا ممن أضح بالفاحشة - فضربوا أدم .

غزوة الخديبية

نحن في ذي النعدة سنة ست هجرية ، وهلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج معتمراً ، يريد زيارة البيت لا يريد حرباً .
واستنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب ومن حوله من أهل البوادي
من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يحثي من قريش أن يرضوا له بحرب ،
أو يصلوه عن البيت .

فأهلاً عليه كثير من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن
لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه
وليعلم الناس أنه إنما خرج راثراً لهذا البيت ومعظله .

وكانوا أربع عشرة مائة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بمكة ، لقيه بشر بن سعيان ، فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ، قد أجمعوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذي طوى ، صاعدون الله لاندحارها عليهم أبداً ...

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا قريش ، قد أكلتكم الحرب ، ماذا عيبتهم لو كانوا بيني وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصحابي كان ذلك بذي أزد ، وإن أظهري الله عيبتهم دخلوا في الإسلام وأقرين ، وإن لم يصبروا ماتوا وبهم قوة ، قد نقل قريش ؟ . فوالله لأأزال أجاهد على هدايتي بني الله ، حتى يظهر الله أو تنفرد هذه الساقطة ..

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم انقي هم بها ؟

فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله .

فبلك بهم طريقاً وعراً أحول بين شعاب ، فلما خرجوا معه ، وقد شق ذلك على المسلمين ، فافصوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله قوتوا يستعز الله ويتوب إليه .

فقالوا ذلك ..

فقال : والله إنها لنجيلة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقبلوها .

فأمهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان فدان . استسكوا ذات النخيل من ظهري ، الحص في طريق يجره عن ثنية المزارع . عط الحديبية من أسفل مكة . فلك الجيش ذلك العاريق .

فلما رأيت حمل قريش قوة الجيش قد حالوا عن حريقهم ، وركعوا راجعين إلى قريش .

ثم رل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبه ثمار ، ثم قال للناس : انزلوا ..

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجاء من خزاعة فكلوه
وسألوه ما الذي جاء به ؟ .

فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء رائراً البيت ، ومعظم حرمة .
فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، وإن
عندكم لم يأت لتتل ، وإنما جاء رائراً لهذا البيت .
فأتهبهم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالاً ، والله لا يدخلها علينا عوة
ولا تخدعنا بذلك عنا العرب .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي ، فخرج
حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أحمت
أوشاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتبضها بهم ؟ ١ . لها قريش
قد خرجت منها المودة لظنابل ، قد لبسوا حلود النمر ، يهايدون الله لا يدحسها
عليهم عنة أبداً .

فكلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه
لم يأت يريد حرباً .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصع به أصحابه .
فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه
وقيسر في ملكه ، والصحافي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط
مثل محمد في أصحابه ١ . وقد رأيت قوماً لا يملونه شيء أبداً ، فروا راسكم .

ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب يبعثه إلى مكة : فيبلغ
عنه أشرف قريش ما جاء له ، فقال له : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ،
وليس بمكة من بني هدي أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش على ما في إياها . وعطاني
عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان .

فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، بعثه إلى أبي سفيان

وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ،
معظماً لحرمة .

ففرج عثمان إلى مكة ... حتى أتى أبا سفيان وعظماً قريش ، فبأنهم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به .

فقالوا لثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن
تعطوف بالبيت طعناً .

قال : ما كنت لأفعل حتى يعطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .
واحبسته قريش عندها .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والسليمان أن عثمان قد قتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا يبرح
حتى تنأجر القوم .

بيعة الرضوان

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان
تحت الشجرة .

وكان الناس يقولون : يا أيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت
فبأبج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخلف عنه أحد من
السلطين حضراً .

وكان أبج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان ففرض بإحدى يديه
على الأخرى .

ثم بشت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا :
أت محمداً فضالماً ، ولا يمكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عليه هذا ، فوالله
لا نتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً .

فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال :
 قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .
 فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام .
 وتراجعا ... ثم جرى بينهما الصلح .
 فلما انقضى الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب ... ماذا جعلت ؟ .

عمر يرفض الصلح !

وئب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ .
 قال : بلى .
 قال : أولمنا بالمسلمين !
 قال : بلى .
 قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ .
 قال : بلى .
 قال : فسلام نعطى الدنيا في ديننا ؟ ! .
 قال أبو بكر : يا عمر .. الزم غرزك . فإني أشهد أنه رسول الله .
 قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .
 ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أأنت
 برسول الله ؟ .
 قال : بلى .
 قال : أو لمنا بالمسلمين ؟
 قال : بلى .
 قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ .
 قال : بلى .
 قال : فسلام نعطى الدنيا في ديننا ؟ ! .

قال : أأبى الله ورسوله .. لن أخالف أمره .. ولن يصيغني .
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ..
أطهده

قال : أكتب . بسم الله الرحمن الرحيم .
قال سبيل : لأعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكتب باسمك اللهم .
فكتبها ...

قال : أكتب . هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، سهيل بن عمرو .
قال سبيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاظك ، ولكن أكتب اسمك
واسم أبيك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكتب ... هذا ما صالح عليه محمد بن
عبد الله ، سهيل بن عمرو ، اصطفا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ،
يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض . على أنه من أن محمداً من قريش
غير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يرفوه عليه ، وإن بيننا
عينة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إعلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد
وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .
فوثبت خراطة . قالوا : نعم في عقد محمد وعهده .

وثوابت بنو بصرى قالوا : نعم في عقد قريش وعهدهم .. وإنك ترجع
عليك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عليك فدخلتها
بأصحابك ، فأنت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها
نفسها .

ابن سفير قریش یأتی مسلماً ۱

فینا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ،
إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرصف في الحديد ، قد انحلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون
في الفتح ، لروا دأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوا طراوا من الصلح ، والرجوع ، وما حصل فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفسه ، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون .
فلما رأى سهيل أن جندل ، قام إليه ، فضرب وجهه ، وأخذ بطييه وقال :
يا محمد .. قد جلت القضية بيني وبينك ؛ قبل أن يأتيتك هنا ! .

قال : صفت ...

فجعل يجره بطييه ، ويجره ، يني يردّه إلى قریش ۱ .
وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا مشر للسلين .. أردّ إلى المشركين
يختنقوني في ديني ۱۹

فزاد ذلك السلين إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل ، اصبر يا احبيب ، فإن
الله جاعل لك ولمن معك من المستصفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا يدينا وبين
القوم صلحاً ، وأعطيناكم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نطربهم » .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل
فإنهم للمشركون ، وإنما دم أحدم دم كلب .

ويدين عمر قائم السيف منه .

يقول عمر : رجرت أن يأخذ السيف ، فيضرب أباه .

فخنّ الرجل بأبيه ، ونظمت القضية .

شهود الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أتيه على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين .

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله ابن سبيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، ومكر بن حفص وهو يومئذ مشرك ، وعلي بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة .

يتحطل من إحرامه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاريا خيامه خارج منطقة الحرم ، وكان يصلي في الحرم .

فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فحرمه ، ثم جلس خلق رأسه .
فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق ، تواتروا بنعرون ويحلقون .

نزل سورة الفتح

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قائلا .
حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، رت سورة الفتح : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْلِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ وَيُتِمَّ بِمِثْقَلِ حَبَّةٍ مِنْ ذَرَّةٍ رِزْقَ لَكَ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) .
ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بَدُ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ سَكَتَ فَإِنَّا بِمَسْكَتِكَ عَلَى نَفْسٍ وَمَنْ أَوَّاهَا فَأَعَادَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَغَوَّاهَا) .
أحرأ عقابا) .

ثم قال الله تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) .

الشجرة فسلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومتاعاً
كثيراً يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً وعدكم الله مغائماً كثيرة
تأخذونها فحبل لكم هذو وكف الأذى الناس عنكم ولتكون آية للذين
يهدونكم صراطاً مستقيماً . وأخرى لم تتدبروا عليها قد أحاط الله بها ، وكان
الله على كل شيء قديراً .

ثم قال تبارك وتعالى : (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حية
الظاهية) يعني سهيل بن عمرو ، حين حى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن
محمداً رسول الله .

ثم قال تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لقد حلن للنبي
الطرام إن شاء الله آمين محققين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون قطع ماله تملوا)
أي : لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى أنه سيدخل مكة آمناً
لا يخاف .

ثم يقول تبارك وتعالى : (فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً) فتح
المدينية .

فما فتح في الإسلام فتح ، قبله كان أعظم منه .

إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فما كانت الهدية ، ووصت الحرب ،
وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا ، فضلوا ضراً في الحديث والمنازعة ، ولم يكلم
أحد في الإسلام بقتل شبتاً إلا دحل فيه .

ولقد دحل في تيفك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر
والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المدينة في ألف
وأربعمائة ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

البشارة الأولى للصلح

فما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنه أبو بصير ، وكان عن
حسين بمكة .

فما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صكتت فيه قرش إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبشوا رجلا معه مولى لهم .

فما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء النعم ما تدعيت ولا يصلح
لنا في ديننا النظر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا
فأطلق إلى قومك » .

قال : يا رسول الله ، أتردني إلى للمشركين بعتوتني في ديني ؟ .
قال : « يا أبا بصير ، أطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا » .
فأطلق معهما ...

حتى إذا كان ندى الخليفة جلس إلى جدار ، وجلس معه أصحابه .
قال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عاصم ؟ .
قال : نعم .
قال : انظر إليه ؟ .
قال : انظر إن شئت .

فاستله أبو بصير ، ثم علا به حتى قتله .
وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في السعد .

فما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا قال : « إن هذا الرجل قد
رأى فرجا » .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك ! مالك ؟ .

قال : قتل صاحبكم صاحبى .

فأبرح حتى طلع أبو صير مُوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وقت دمتك ، وأدى الله عنك ، أسلعتى بيد القوم ، وقد امتنعت بدبى أن أقتل فيه ، أو يميت بي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيْلُ أُمِّ يَحْشَ حَرْبٍ ^(١) ، لو كان معه رجال » .

ثم خرج أبو صير حتى رل على ساحل البحر بطريق قريش ، التي كانوا يأخذون عابها إلى الشام .

وسمع المسلمين الذين كانوا حُيسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى صير : « ... لو كان معه رجال » .

فخرجوا إلى أبى صير ، فاحصع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً . وكانوا قد سبقوا على قريش ، لا يظنّون بأحد منهم إلا أنه ، ولا يترهم غير إلا اقتطعواها .

حتى كنتت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم .

فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلموا عليه الهدية .

وكانت تلك هى القصاص الأولى لصبح الهدية !

المؤمنات المهاجرات

وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كنّهم بنت حُفَيرة بن أبى مُنَيط فى تلك السنة .

فخرج أحرأها عميرة والزليد ابنا عمّة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يرُدّها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الهدية .

(١) أى أنه يؤذى الحرب ويهدىها ويشعل ثمرها .

نم يغفل ... وأبى الله ذلك ...

يقول تبارك ونسألى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا تزجوهن إلى الكفار لاهن حل لهن ولا هم يحون لهن وآتوهن ما انفقوا ولا جناح عليكم أن تنكهنهن إذا آتينكموهن أحورهن ولا تمكوا بضم الكواير) ...
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بهير إذاً وليه .

فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يردن إلى الشركى ، إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فرفضوا أنهن إماماتهن رغبة في الإسلام ، وأمر رد صدقاتهن إليهم إن احتسبن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صدقات من حبسوا عنهم من نسايتهم ، ذلك حكم الله بحكم بينكم والله عليم حكيم ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال .
وبولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كآرة الرجال .

ولولا الهدنة والمعاهدة الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردن لهن صدقاتاً ، وكذلك كان يصح من جاءه من المقات قبل العهد

دعوة ملوك الأرض إلى الإسلام

وفى دى المحنة من سنة ست من الهجرة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من أصحابه إلى ملوك الأرض فى ذلك الزمان .

حاطب بن أبى طهفة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية .

وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر النخاسى ، ملك عرب الصلى .

ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيسر ، وهو هرقل ملك الروم .

وعبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس .

وسليط بن عمرو إلى هوزة بن علي الحنفي .

وعرو بن أمية إلى النعاشي ملك البصري بالحنسة ، وهو أحممة بن الحر .
وهكذا كان صلى الله عليه وسلم ذائماً الدعوة إلى ربه ، ما كاد يفقد صلاح
الحديبية ، ويرجع إلى المدينة ، حتى أخذ يبعث رسله إلى أمعاء الأرض .

قصة قيصر

قال أبو سفيان : كما قوماً تماراً ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى هكت
أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا نأمن إن وجدنا أمناً .

فخرجت ناحراً إلى الشام ، مع رهط من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة
ولا رجلاً إلا وقد حملت بضاعة .

وكان وجه متجرباً من الشام مرة ، من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها
وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم ، على من كان في بئرهم من القيس
فأخرجهم منها ، ورد عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه .

فما أن بلغه ذلك ، وقد كان منزله بمصر من الشام ، فخرج منها يمشي
مشكراً إلى بيت المقدس ، ليصلي فيه ، فندس له البسط ، ويطرح عليها الرياض
حتى انتهى إلى إيلياء ، فصلى بها .

فأصبح ذات عشاء وهو مهموم ، يطلب طرفه إلى السماء .

فقال له بطارقه : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموماً ؟

قال : أجل

قالوا : وما ذاك ؟

فقال : أريت في هذه الليلة ، أن ملك النخنان صاهر .

فقالوا : والله ما علم أمسة من الأمم تختن إلا اليهود ، وهم تحت يدك ،
وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك منهم ، فابث في مملكتك كلها ،
فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه ، فسترى من هذا المهم .

فأبهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم ، إذ أنام رسول صاحب بصرى
برجل من العرب قد وقع إليهم ، قال : أيها الملك ، إن هذا الرجل من العرب
من أهل الشام والإبل ، يحدثك عن حدث كان بلاده ، فأسأله عنه .

فلما انتهى إليه ، قال لترجمانه : سل ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟
فأله فقال : هو رجل من العرب ، من قريش ، خرج يزعم أنه نبي وقد
أنبه أقوام ، وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم ، في مواطن ، فخرجت
من بلادي وهم على ذلك .

فلما أخبره الخبر ، قال : جردوه .. فإذا هو مختن . قال : هذا والله الذي
قد آرت ، لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلب لي الشام : ظهوراً لبطن ، حتى
تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هم علينا فأسأله : من أنتم ؟
فأخبرناه .. فسأنا إليه حبياً .

فلما انتهينا إليه قال : أيكم أسس به رحما ؟
قلت : أنا .

قال : اذنوه مني .

فأجلسني بين يديه ، ثم أسر أصحابي فأجلسهم حلق ، وقال : إن كذب
مردوا عليه .

قلت : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم .

فزهدت له شأنه ، وصغرت له أمه ، قلت : سألني عما بدا لك ؟ .

قال : كيف نسب فيكم ؟ .

قلت : محضاً من أو سلطاناً نسباً .

قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يشبه به ؟ .

قلت : لا .

قال : فأخبرني هل له ملك فاستلتموه إياه فغاب بهذا الحديث لتردوه عليه ؟

قلت : لا .

قال : فأخبرني عن أتباعه من هم ؟

قلت : الأحداث والصبيان والمساكين ، فأما أشراهم وقذروا لأسباب منهم فلا .

قال : فأخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقيه ويبارقه ؟

قلت : ما صحبه رجل هارقه .

قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟

قلت : سجال يدال علينا وتبادل عليه .

قال : فأخبرني هل يقدر ؟

قال أبو سفيان : فلم أجد شيئاً أغره به إلا هي .

قلت : لا ، ونحن منه في مدة ، ولا نأمن عذره فيها - فوائده ما انتهت

إليها مني -

قال : رحمت أمه من أعظمكم سباً ، وكذلك بأحد الله أنبي لا بأحده إلا من

أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به

قلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فاستلتموه إياه فغاب بهذا الحديث لتردوا عليه

سكك قلت لا ، وسألتك عن أسامة فرمعت أنهم الأحداث والمساكين والصبيان

وكذبت أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقيه

وبارقه فرمعت أنه قل من يصحبه فيبارقه ، وكذلك خلاوة الإيمان ، لا تدخل

قللاً فتخرج منه ، وسألتك كيف احرب سبكم وبينه ، فرمعت أنها سجال ، يدال

عليك وتداول عليه وكذلك تكون حرب الأنبياء ، وهم تسكون العاقبة ، وسألتك

هل يعسر ، فرمعت أنه لا يعسر ، فإن كنت صدقتني ليعين علي ما تحت قدمي

هاتين ، ولوددت أني عنده ، فأعسل عن قدميه .

ثم قال : الحق بشألك .

فصت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عبد الله ... أصبح
ملوك بني الأصفر يخافونه في سلاطنتهم !

ماذا في الكتاب ؟

قالوا : وقدم حبة بن خليفة على هرقل ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم
سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فأسلم تسلم يؤئك الله أجرك مرتين ، فإن
أبيت فإن إثم الأكارين (العلاحين) عليك .

قالوا : فلما انتهى إليه كتابه وقرأه ، أخذه فجعله بين يديه وخامسه .
ثم كتب إلى رجل من أهل رومية ، كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ ، يخبره
عما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فكتب إليه إنه النبي الذي ينظرك لانتك فيه فابعه .

فأسر بعضاء الروم ، فجمعوا له في دسكرة مملكة ، ثم اطلع عليهم من عليه له
وهو منهم حائف ، قال : يا مشر الروم .. إنه قد جاء في كتاب أحمد ، وإنه والله
النبي الذي كنا ننتظر ، ومجل ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا
وابتعموه ، تسلم لكم دينكم وآخرتكم .

فصعدوا نخرة رجل واحد ، وابتسروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم .
فخفهم وقال : ردوهم على ، فردوهم عليه ، فقال لهم : يا مشر الروم ، إنني
إنما قلت لكم هذه المقالة أحذركم بها ، لأنظر كيف صلاتكم في دينكم ، فقد
رأيت منكم ما سرني .

فوقسوا له سجداً ... ثم فصحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا !! .

قصة كسرى

بث رسول الله صلى الله عليه وسلم شعاع بن وهب إلى كسرى .
فأمر كسرى بإيوانه أن يرين ، ثم أذن لخطباء فارس ، ثم أذن لشعاع
ابن وهب .

فلما أن دخل عليه ، أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يقبض منه .

قال شعاع بن وهب : لا . . . حتى أفضه أنا إليك ، كما أمرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال كسرى : ادنه .

فدنا ، فناوله الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الخبرة فقرأه فإذا فيه :

« من محمد بن عبد الله ورسوله ، إلى كسرى عظيم فارس » .

فأعضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، وصلاح ، وعصب ،

ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه !!

وأمر بشعاع بن وهب فأخرج .

فلما رأى شعاع ذلك ، قط على راحته ، ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالي

على أي الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .

ولما ذهب عن كسرى سورة غنمه ، بث إلى شعاع ليدخل عليه ، فالتبس

قلم يوحدا ! .

فلما قدم شعاع على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره عما كان من أمر كسرى

وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« مرق كسرى ملكه » .

قصة المقوقس

عن حاطب بن أبي بلتعة قال . بثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، فبحثه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فأنزلني في منزله ، وأقامت عنده .

ثم سئلت إلى ، وقد جمع بطريرقه وقال : إلى سائلك عن كلام فأحب أن
تفهم عنى .

قلت : هلم .

قال : أخبرني عن صاحبك أليس هو نبى ؟

قلت : بل هو رسول الله .

قال : فماله حيث كان مكمنا ، لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلد
إلى غيرها ؟

قلت : عيسى بن مريم ، أليس تشهد أنه رسول الله ؟

قال : بلى .

قلت : فماله حيث أعدم قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم
بأن يهلكهم الله حيث ربه الله إلى السماء الدنيا ؟

فقال لى : أنت حكيم ، قد جاء من عند حكيم . . . هذه هدايا أرسلت بها ملك
إلى محمد ، وأرسل معك بحرص يحرصونك إلى مأمنك .

فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار ، منهم أم إبراهيم
ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحسن بن ثابت الأنصارى ، وأرسل إليه هدايا طريفة من طرائقهم .

وكان في حملة أمية ، علام أسود حصى ، وخفين ساذحين ، وشفة بيضاء
اسمها الدليل .

غزوة خيبر

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدببة - حين رجع من المدينة -
 ذاك الحجة وبعض الحرم ، ثم خرج في بقية الحرم إلى خير .
 ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضه .
 ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير قال لأصحابه :
 « قسوا » .

ثم قال : « اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين
 وما أقتلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإننا
 نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ،
 وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا ، بسم الله » .
 الله أكبر ، خربت خير

من أنس بن مالك قال :
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غز قوما لم يُنزل عليهم حتى يصبح
 قبل سمع أذاناً أمسك ، ولم يسمع أذاناً أغار .
 فقلنا خير ليلاً ، فبكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم
 يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه . . .
 واستقبلنا نَحْلَ خير غادين ، قد خرجوا (بنزولهم وفتحهم) . . .
 فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والجيش معه .
 دبروا هرباً .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، خربت خير ، إنا

افتاح الحصون

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الحصون حصناً حصناً ،
 الأدنى فالأدنى .

فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم .

ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق .

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها سبيلاً : منهن صفية بنت حُصَيَّة
بن الخطب .

ودشت السبيل من خير في السنين .

ثم افتتح المسلمون حصن الصعب بن مُعَاذ ، وما بخير حصن كان أكثر
طرداً منه .

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من
الأموال ما حاز ، انتهى إلى حصنهم ، الوطيح والسلام ، وكان آخر حصون
أهل خير افتتحا .

فخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خير « يلمنصور
أَمِيتْ أَمِيتْ » .

مرحب اليهودي

خرج مرحب اليهودي من حصنهم ، وقد جمع سلاحه برنجز :

قد علمت خير أئى مرحب شاك السلاح بطله بجوب
أظن أحيانا حيناً أصرب إذا القيوت أقيمت تحرب

وهو يدل بنفسه . ويقول : من يبارز ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لهذا ؟ » .

قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله . . . أنا والله للوثور الثائر ، قل
أنى بالأس .

قال : « ضم إليه . اللهم أعنه عليه » .

فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دحلت بينهما شجرة قديمة طويلة السر ،
فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ؛ كل لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسجده

مادونه منها ، حتى رد كل واحد منها لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل
القامم ، مافيها عصب .

ثم حل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه فالتفت به فارتقت ، فوقع سيفه فيها ،
صفت به فأمكنه .

وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

مصرع ياسر اليهودي

ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارر ؟

تخرج إليه الزبير بن العوام ، فالتفتا ، فقتله الزبير .

بطولة علي بن أبي طالب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أب بكر الصديق برايته إلى بعض
حصون حير . فقاتل فرجع ولم يك فتح ، وقد أصابه جهد ومشقة .
ثم بعث القدر عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد أصابه
جهد ومشقة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأعطين الراية عبدًا دخلًا يُحِبُّ
الله ورسوله ، فتح الله على يديه ، لبس بفرار » .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا ثم قال . خذ هذه الراية ، فامض
بها حتى يفتح الله عليك .

فخرج بها يهرول هرولة ، حتى ركز رايته في حجرة مجتمعة تحت الحصن .
ومعه نفر من أصحابه .

فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن : فقال : من أنت ؟

قال : أنا علي بن أبي طالب .

قال : علونكم ، وما أنزل على موسى .

فأرجع حتى فتح الله على يديه .

استسلام خير

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خير في حصنهم ، الوطيع
والسلام ، حتى إذا أيسوا بالهلاك ، سألوهم أن ينفقهم ، وأن يمتن لهم
دماءهم ، قتل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استولى على الأموال كلها ، وجميع
حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصين .

فما سمع بهم أهل طك ، قد صنعوا ما صنعوا ، بشروا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسألونه أن ينفقهم ، وأن يمتن دماءهم ويحتوا له الأموال ،
فقتل .

فما نزل أهل خير على ذلك سألوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم
في الأموال على النصف .

وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأمر لها .

فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنها إذا شئنا
نخرجكم أخرجناكم .

فصالحه أهل طك على مثل ذلك .

فكانت خير فينا بين المسلمين .

وكانت طك حاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يمتلوا عليها
بخيال ولا ركاب .

دس السم لرسول الله

فما احبأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث له زينب بنت الحارث زوجة
سلام بن مشكم اليهودية ، شاة مشوية .

وقد سألت أي عضو من الشاة ، أحب إلى رسول الله ؟

فقال لها : الذراع .

فَاكْتَرَفَتْ فِيهَا مِنَ السِّمِّ ، ثُمَّ صَحَّتْ سَائِرُ الْعَادَةِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا .
 فَلَا وَضَعَهَا بَيْنَ بَدَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَوُلُ الْقِرَاعِ . فَكَرِهَ
 مِنْهَا مُضَفَّةً فَلَمْ يَلْبَسْهَا .
 وَمَعَهُ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ، وَقَدْ أَخَذَ مَعَهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 فَأَمَّا بَشْرٌ فَأَسْلَفَهَا .
 وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنَظَرَهَا وَوَدَّهَا ، ثُمَّ قَالَ : « إِنْ هَذَا
 الْعَظِيمُ لَيَنْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ » ثُمَّ دَعَا بِهَا فَاعْتَرَفَتْ .
 فَقَالَ : « مَا جَلَّتْ عَلَيَّ ذَلِكَ » ؟
 قَالَتْ : بَلَّغْتَ مِنْ قُوَى مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، قُلْتَ إِنَّكَ كَأَنَّكَ طَلَكَا اسْتَرْحَمْتَ
 حَتَّى ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَيُتَخَبَّرُ .
 فَجَلَّوْذَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !!
 وَمَلَتْ بَشْرٌ مِنْ أَكْلِهِ الَّتِي أَكَلَ .

حصار وادى القرى

عَلَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ ، انْصَرَفَ إِلَى وَادِي
 رَمَّةٍ ، فَخَصَرَ أَهْلَهُ لَيْلًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الدِّينَةِ .

ينامون عن صلاة الصبح

لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ ، فَكَانَ بِيَمَاضِ
 الطَّرِيقِ قَالَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ : « مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْغَبَرَ لَمَّا نَمُّ ؟ »
 قَالَ بِلَالٌ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْفَظُهُ عَلَيْكَ .

فَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَلَّ النَّاسُ ، فَخَامُوا .
 وَقَالَ بِلَالٌ بَصِلْ ، فَصَلَّ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ وَجِلٍ أَنْ يَصِلَ ، ثُمَّ اسْتَعَدَّ إِلَى بَيْتِهِ ،
 وَاسْتَعْبَلَ الْغَبَرَ بِرُمَّتِهِ ، فَصَلَّاهُ عَلَيْهِ ، فَتَمَّ ، فَلَمْ يَرَوْهُمْ إِلَّا مِنْ الشَّيْءِ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب ، قال : « ماذا صنعت بنا يا ملال ؟ » .

قال : يا رسول الله ، أخذ نفسي الذي أخذ منك . قال : صدقت .
 فتوصاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوصاً الناس ، ثم أسر بلالا فأقام الصلاة ، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس .
 قد سلم وأقبل على الناس فقال : « إِذْ نَبِئْتُ الصَّلَاةَ مَصُوعًا إِذَا ذَكَرْتُمُهَا فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : أَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِي » .

وكان فتح خيبر في صفر من السنة السابعة من الهجرة .

القضاء يشتركن في الغزو

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين .
 فأعطاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثمن ، ولم يضرب لمن سهم .
 رَوَوْا عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِوَةٍ مِنْ غَطَرٍ .

فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ؟ - وهو يسير إلى خيبر - فتداوى الجرحى ، وسعى المسلمين بما استطعنا ؟ .

قال : « عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ » .

قالت : فخرجنا معه ، وكنت حانة حدثنة ، فأرغمي رسول الله صلى الله عليه وسلم على حنية رَحْلِهِ .

قالت : فوالله ليزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ، وأنا نائح ، ونزلت عن حنية رَحْلِهِ ، وإذا بهادمٌ مني ، وكانت أول حِيصَةٍ حصنها .

قالت : فتبعتهُ إلى النسقة واستحييتُ ، فصارأي رسول الله صلى الله عليه وسلم حابي ، ورأى الدم ؛ قال : « مَا لَكَ ؟ لِمَا لَكَ نَفْسُكَ ^(١) » .

قالت : نعم -

قال : فأصلي من نفسك ، ثم حذني إناءاً من ماء فأطرحه فيه مسحاً ، ثم اغسل به ما أصابت الحمية من الدم ، ثم عودي لمركبتك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حير ، أعطانا من التمر وأحد هذه القلادة التي ترين في عنق فأعصابها ، وعلقها بيده في عنق ، هو الله لا تفارقتي مداً .

فكانت في عنقها حتى ماتت ! .

وهكذا كان الصحايبات الجليلات يشتركن في المروحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم يعطينهم مما أفاء الله عليه .

قدم جعفر من الحبشة

ثم إن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر .

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبيده ، والتزمه ، وقال : « ما أدرى بأيهما أنا أمر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » .

وكان معه رجل ونساء ممن أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نعت فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصحاشي ، عمرو بن أمية فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه صلى الله عليه وسلم ، وهو بحبر بعد الحديبية .

العودة من خيبر

فد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرين ربيع ، ومُحَادِيَيْن ، ورجبا ، وشعبان ، ورمضان ، وشوالاً يبيت فيها بين ذلك سراياه .

عُذْرَةُ الْقَضَاءِ

ثم خرج في ذي القعدة ، في الشهر الذي صدّه فيه الشركون ، معتصرا عمرة القضاء ، مكان عمرة التي صدوه عنها .

لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة في الشهر الحرام من ستة ست ، فاقترض رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام ، الذي صدوه فيه من ستة سبع .

وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه .

وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عُسْرَةٍ وَجْهَةٍ وَشِدَّةٍ .

عن ابن عباس قال : صَعَوْا لَهُ عِنْدَ دَارِ النَّدْوَةِ لِيَطْرُقَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم — للسجد اضطلع^(١) بردائه ،

وأخرج عَصَدَةُ النَّبِيِّ ثُمَّ قَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَرَامَ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةٌ » .

ثم استلم الركن ، وخرج يهرول^(٢) ويهرول أصحابه معه .

حتى إذا واراها البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود .

ثم هرول كذلك ثلاثة أملاط ، ومشى سائرهما .

وحين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في تلك العمرة ، دعاها

وعبد الله بن رواحة أخذ بمحطام^(٣) ناقته يقول :

حَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ حَلُّوا فَكُلَّ الْحَسِيرِ فِي رَسُولِهِ

(١) الاستطاع : أن يحصل بين رداءه تحت هذه اليد ويجعل طرفه على

مكب الأسر .

(٢) الهرولة : فرق للشي ودون الجري .

(٣) المحطام : الحبل الذي يناد به الناقة .

زواج ميسونة بنت الحارث

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميسونة بنت الحارث في سفره ذلك ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .
وكانت ميسونة جعلت أسرها إلى أختها أم الفضل ، جعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها عنه أرمائة درهم .
وذكروا أنه لما انتهت إليه خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وهي راكبة بيرا ، قالت : الجلى وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
وبها نزلت الآية (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن ينكحها حاصة لك من دون المؤمنين) .

قريش تطلب إليه الرحيل !

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حوثلط بن صد القسري ، في عمر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أحلك ، فأخرج عنا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وما عليكم لو تركتوني فأغرت بين أظهركم ، وصنمنا لكم طعاماً فخرتموه ؟ » .
قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فأخرج عنا .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ثم انصرف إلى المدينة في ذي الحجة .
فأنزل الله عز وجل عنه : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمين رؤسكم ومقصرين محلقين لا تعافون ...) .

قبل فتح مكة

عمرو بن العاص يأتي مسلماً

نحن في أوائل سنة ثمان من الهجرة .

وها هو عمرو بن العاص يأتي مسلماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان ذلك في مفر سنة ثمان من الهجرة .

يقول عمرو : فأتيت بعبيراً ، وخرجت أريد للبيضة ، حتى مررت على سر الظهران ، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة ، فإذا رجلاً قيد سيقاني بنير كهم ، يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الحومة ، والآخر يمسك الراجلين .

قل : فبطلت ... فإذا خالد بن الوليد .

قلت : أين تريد ؟

قال : محمداً ، دخل الناس في الإسلام ، فلن يبق أجد به طيم ، والله لو أتت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضع في منارتها .

قلت : وأنا والله قد أرت محمداً ، وأردت الإسلام .

تفرج عثمان بن طلحة ، فرحب بي ، فزلنا جميعاً في النزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ... فما أنسى قول الرجل قبيلاً يقول : قد أعطت

مكة القادة بعد هدين .

وخلت أنه ينفق ، ويعني خالد بن الوليد ، ويولد مديراً إلى السعد

سريماً ، قضيت أنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقودنا ، فكان

كما ظننت .

وأخرجنا بالهرة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودى بالصبر ، فانطلقنا على

أظلمنا عليه ... وإن لوجه تهالا ، والمسلمون حوله قد سمروا بإسلامنا .

فتقدم خالد بن الوليد فبايع .

ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع .

ثم تقدمت فرائقه ما هو إلا أن جست بين يديه ، فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه .

فبقيته على أن يعمر لي ما تقدم من ديني ، ولم يحضرني ما تأخر ، قال :

« إن الإسلام يحب ما كان فيه ، والمهرة تحب ما كان قبلها » .

خالد يروي قصة إسلامه !

عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله لي ما أراد من الخير ، قذف في قلبي الإسلام ، وحضرتي رشدي ، قمت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فليس لي موطن أشهد إلا أصرف وأما أرى في نفسي أي موضع في غير شي ، وأن محمدًا سيظهر .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية ، خرجت في خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بصقان ، قمت بإرائه ، وتمرضت له ، فعلى بأصحابه الطهر أماننا . مهمما أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا .

فاعلم على ما في أنفسنا من أهم به ، فعلى بأصحابه صلاة العصر ، صلاة الخوف . فلما صالغ قريشًا بالحديبية ، ودافعتهم قريش بأرواح ، قلت في نفسي : أي شيء بقي ؟

أين أذهب ؟ إلى النجاشي ؟ قد اتبع محمدًا ، وأصحابه عنده آمنون ! فأخرج لي هرقل ، فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية ، فأقيم في عجم ، فأقيم في داري بمن بقي ؟

فأنا في ذلك ، إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في حرة القضاء . فتبينت ، ولم أشهد دخوله .

وكان أحي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء .

طلبني ، فلم يجدني ، فكتب إلى كتاباً ، هذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإنني لم أرُ نبياً من دهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك ؟ ومن الإسلام جهله أحد ؟ . وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال أين خالد ؟ . قلت يأتي الله به . فقال : « منه حمل الإسلام ؟ ولو كان جعل سكايته وجهه مع المسلمين كان خيراً له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك بأخي ماقد فأنك من مواطن صالحه .

فما جاءني كتابه فشطت للخروج ، ورائي رغبة في الإسلام ، وسرني سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى

نفرجت إلى مسنري ، فأمرت براحتي نفرجت بها ، إلى أن لقمت عثمان ابن طلحة . . .

نفرجتاً سحرًا ، فلم يطلع الفجر حتى الصينا يأتج ، فذووا حتى انتهينا إلى المدة ، فوجد عمرو بن العاص بها . قال : مرحباً بالقوم ، فقلنا : وما أخرجك ؟ . فقال : وما أخرجكم ؟ . قنا : الدحول في الإسلام ، وانباع محمد صلى الله عليه وسلم . قال : وذلك الذي أقصمى .

فاصصحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة . فلقبني أخى ، فقال : أسرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجبر بك ، فسر بقومك ، وهو ينتظركم .

فأسرعنا لمشي ، فاطمعت عليه ، فما زال يتسم إلى ، حتى وقعت عليه .

فسمعت عليه بالنبوة ، فرد على السلام بوجه طلق .

قلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .

قال : « تعال » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي هدانا لهذا ، قد كُنت

أرى لك عقلا ، رحوت أن لا يهلك إلا إلى خير .

قلت : يا رسول الله ، إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن ، عليك معانداً للحق ، فادعوا الله أن يفرها لي .

فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يحب ما كان قبله » .
قلت : يا رسول الله على ذلك ؟ .

قال . « اللهم اعمر لخالد بن الوليد ، كل ما أوصع فيه من صد عن سبيل الله » .
قال خالد : وتقدم عثمان وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ، والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بين أحداً من أصحابه فيما حربه

وهكذا . . . دخل خالد الإسلام . . . ليكون من بعد ذلك أعظم قائد
حربي شهده الأرض !

وكذلك تتحل عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسية .

غزوة مؤتة

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذي الحجة بالمدينة ، والمحرم ، وصراء ،
وشهر ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثة إلى الشام .
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة
ثمان من الهجرة .

واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي
طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبدة الله بن رواحة على الناس » .
فتجهز الناس ، ثم تهيئوا للعروج .
وهم ثلاثة آلاف .

فلما حصر خروجهم ، ودع الناس أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلوا عليهم .

ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرحهم .

٢٠٠٠٠٠ من الروم .

ثم مضوا ، حتى نزلوا معان من أرض الشام .
فبلغ الناس أن هرقل ، قد حل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ،
وانعم إليهم مائة ألف آخرين من السمرية .

فلما سمع ذلك المسلمون أقاموا ليتبين يفكرون في أمرهم .
وقالوا : مكاتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبروه ببدء عدونا ،
فإذا أن عدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنفى له .

فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن التي تكمهون للتي
خرحتم تطلون الشهادة ، وما هائل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة ،
ولا قناتهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فاطفئوا ، فإما هي إحدى
الاحتشيين : إما ظهور وإما شهادة .

قال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

فغى الناس ، حتى إذا كانوا يحسبون البلقاء ، لغتهم جموع هرقل من
الروم والعرب

ثم دنا العدو .. فصبأ لهم المسلمون .

ثم التقى الناس ، واقتترا ...

فقاتل زيد بن حارثة برأية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هلك في
رماح القوم .

ثم أخذها حفر ، فقاتل بها ، حتى إذا ألحمة القتال ، رمى بنفسه عن فرس
له شفاء ، ففرها ، ثم نرحل ، وقاتل القوم حتى قتل . وهو يقول :

ياحبنا الجنة واقتربنا طيبة وبارداً ثرائها

هذه هي بطولة جعفر

وكان جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه قطعت ، فأحده بشماله قطعت
فاحتصه بيمينه^(١) حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .
ويقال : إن رجلا من الروم ضرب يومئذ ضربة ، قطعه نصعين .

الشهيد الثالث

فلما قتل جعفر ، أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها - وهو على
فرسه - فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد .
ثم نزل ... ثم أخذ سيفه فقدم ، فقاتل حتى قتل .

خالد يأخذ الراية

ثم أخذ الراية ثبات بن أرقم ، فقال : يا مشر السليس ، اصطحبوا على
رجل منكم .

قالوا : أت .

قال : ما أنا بفاعل .

فاصططح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشي
بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف للنفس .

ولقد كانت عبقرية عالية لخالد بن الوليد رضي الله عنه أن يخصص ثلاثة
آلاف من المسلمين من بين مائتي ألف من الأعداء .

رووا أنه لما قتل ابن رواحة مساء ، بات خالد بن الوليد ، فلما أصبح عدا ،
وقد جبل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمينته ميسرته .

فأسكر الروم ما كانوا يرفون من رمايتهم وهيتهم وقالوا : قد جاءهم مدد
فرعبوا وانكشفوا منهزمين !

(١) حزن الرجل : ماتت النفس إلى أسفل

إنه سيف من سيوفك

ومن حديث طويل : « ... فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فأمر فتوى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا قتلوا الطو ، قتل زيد شهيداً ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً ، فشهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء هو أسرفه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه سيف من سيوفك أنت نصره » فن يرتد سمي خالد سيف الله .

فما انصرف خالد بالناس ، أقبل بهم قاتلاً .

فما دنوا من حول المدينة ، نكحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والسمون .

وجعل الناس يحشون على الجيش التراب ويقولون : بأمرار فررتهم في سبيل الله ١٩ .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ليسوا بالقرار ، ولكم الكرار إن شاء الله تعالى » .

غزوة ذات السلاسل

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أم الناصر بن واثل كانت من بني تلي ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألفهم حتى إذا كان على ماء بأرض جندام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة - خلف من كثرة عدوه . فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفره .

فلدب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين . فاعذب
أبو بكر وعمر في جماعة من سرراء المهاجرين ، وأسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهم أبا عبيدة بن الجراح .
فما قطعوا على عمرو قال : أنا أميركم ، وأنا أرسلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أستعده بكم .
فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين .
قال عمرو : إني أأتم مدد أمدته .
فما رأى ذلك أبو عبيدة ، وكان رجل حسن الخلق لين التبعة ، قال : تعلم
لا مرو أن أحر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إنا ندمت
على صاحبك فتطاولوا » ، وإني إن عصيتي لأطيعنك .
فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص .
ولما آتب إلى عمرو بن العاص أبو عبيدة بن الجراح ، فصاروا خسانة فصاروا
الليل والنهار ، حتى وطئ بلاد بل ودونها .
وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلما هموا بك
تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بل .
وجعل السيلون عليهم ، فهزموا ، وأعجزوا هرباً في البلاد ، وتفرقوا ، ودوخ
عمرو ما عنده .

فُتِحَ مَكَّةُ

أسباب فتح مكة

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيته إلى مؤتة جادى الآخرة
ورحباً .

ثم إن بنى بكر عدت على خراعة .

وقد مضى أنه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
قريش كان فيما شرطوا له وشرط لهم ، أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش
وعهده فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خراعة
في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

فلما كانت الهدية اعتمها بنو بكر من خراعة ، وأرادوا أن يصيبوا
منهم تاراً .

واعتدت بنو بكر على خراعة وقائلاً ، وقابل من قريش من قاتل مع
بنى بكر !

ثم خرج فر من خراعة ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة .

فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا
راجعين إلى مكة .

أبو سفيان في المدينة

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة .
فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ! .

فقال : يا بُدَيَّة ، ما أدري أرغبت بي من هذا الفراش ، أم رغبت به عنى ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : والله لقد أصابك يابنية عدوى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلمه فلم يرد عليه شيئاً .

ثم ذهب إلى أبي بكر ، فسلمه أن يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب ، فسلمه ، فقال : أأما أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! - فوافقه لو لم أجد إلا الله رجلاً جاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها حسن بن علي يذب بين يديها فقال : يا علي إنك أمس القوم بي رحماً ، وإنني قد حذت في حاجة فلا أرحمن كما حذت خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ! - والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ، ما نستطيع أن نكلمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بديك هذا فيحير بين الناس ، فيسكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

قالت : والله ما ألع بي ذلك أن يحير بين الناس ، وما يحير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت على فاطمته .
قال : والله ما أعلم لك شيئاً يعني عنك شيئاً ، ولكمك سيد بي كساة ، فقم فأجزي بين الناس ، ثم الحق بأرضك .

قال : أوترى ذلك مضياً على شيئاً ؟
قال : لا والله ما أعلمه ، ولكني لأجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ، إني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره ، فاسطلق .

فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟

قال : جئت محمداً ، فكلت ، فوالله ما رد على شيئا ، ثم جئت ابن أبي قحافة
ظلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعلمى السوء ، ثم أتيت علياً
فوجدته ألين العزم ، وقد أشار على بشيئ منته ، فوالله ما أدري هل ينفي ذلك
شيئاً أم لا ؟ .

قالوا : وبع أسرك ؟ .

قال : أسرت أن أسير بين الناس ، فقلت .

قالوا : فهل أجز ذلك عهد ؟ .

قاله : لا .

قالوا : وبلك ! - والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فافض منك ماقلت ؟ .

قال : لا والله ما رجعت مير ذلك .

الامر بالتبعية

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتبعية . وامر أهله أن يجهزوه .
فدخل أبو بكر على ابنه عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي فية أأمركم رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن تجهزوه ؟ .

قالت : نعم ، تجهز .

قال : فإين تربيه يريد ؟ .

قالت : والله ما أدري .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة
وأمرهم بالجد والتبؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش

حتى تنفها في بلادها » .

تجهز الناس ..

كتاب إلى قريش

لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يحذرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم .

ثم أعطاه امرأة ، وحمل لها أجراً ، على أن تبعه قريباً .

فجلبته في رأسها ، ثم حلت عليه قرونها ، ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، بما صنع حاطب .

فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام قال : « أدركا امرأة قد كذب

مها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما تدأجمنانه في أسرم .

تخرجنا حتى أدركناها ... فاستزلاها ، فالتسا في رحلها فلم يجدنا شيئاً .

قال لها علي بن أبي طالب : إني أحنف بالله ما كذب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجن بنا هذا الكتاب أو لنكشمنك .

فلما وأت الجدمه قالت : أهرص .

فأعرض ، حلت قرونها رأسها ، فاستحرخت الكذاب منها ، فدفننه إليه .

فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاطباً ، فقال : « يا حاطب ما حلتك على هذا ؟ » .

قال : يا رسول الله ، أما والله إني لأؤمن بالله ورسوله ، ما عيرت ولا بدلت ،

ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم

ولد وأهل ، فصانعهم عليهم .

قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلا ضرب عنقه ، فإن الرجل

قد نافتق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد

أطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : املوا ما شئتم ، فقد عرفت لكم » .

فأنزل الله تعالى في حاطب : (يا أيها الذين آمنوا لا تعذبوا من دونه وحكم
لأولياء ثقتهم إليهم بالوعدة) .

الخروج في رمضان

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوه ، واستخلف على المدينة
أبا بكر بن عبد الله بن جهم .

وخرج لعشر مضين من شهر رمضان من سنة ثمان من الهجرة .
فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان
بالكديذ أفطر .

ثم مضى حتى نزل مر الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين .
وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف
منهم أحد .

قصة إسلام العباس بن عبد المطلب

وقد كان الساس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض
الطريق ، فلبى بالبيعة مهاجراً بعباله ، وقد كان قبل ذلك مقبياً بمكة على سقائه ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .

وهكذا خرج الساس مهاجراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده
في أثناء الطريق ، وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قصة إسلام أبي سفيان

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظهران ... قال الساس ابن
عبد المطلب : قلت : وأصبح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة عنوة ، قبل أن يأنوه فيستأمنوه : إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر .

قال : جلست على دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت

عليها حتى جئت الأراك ، قلت : لعل أجد من الخطابة ، أو صاحب لبن ،
أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا
إليه يستأنسوه ، قبل أن يدخلها عليهم عنوة .

قال : والله إني لأخبر عبيد ، وأتيسر ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي
سفيان ، وبديل بن ورقاء وما يتراجان .

وأبو سفيان يقول : مارأيت كالفية يبرأنا قط ولا مسكراً ١٩ .

فيقول بديل : هذه والله حراقة ، حستها الحرب .

فيقول أبو سفيان : خراقة أذل وأقل ، من أن نكون هذه جرائنا وعسكرها .

قال العباس : ضرفت صوته ، قلت : يا أبا حفص ٢٠ .

ضرفت صوتي ، قال : أبو الفضل ٢١ .

قلت : نعم .

قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟

قلت : ويبحث يا أبا سفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
وأصبح قرين والله ٢٢ .

قاله : فالحيلة فذاك أبي وأمي ؟

قلت : والله نثن طر بك ليصرين عنقك ، فاركب في مجز هذه البطة حتى
أتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمنه لك .
مركب خلق ورجع صلحاء .

جئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين ، قالوا : من هذا ؟

فإذا رأوا بطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا عليها قالوا : نعم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بطة .

حتى مررت بسيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : من هذا ؟

وقام إلي ، فلما رى أبا سفيان على عمر الهداية قال : أبو سفيان عدوا الله ٢٣

الحمد لله الذي أمكن منك ، بنير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البعثة ، فسبقته بما يسبق الدابة البعثة الرجل البطيء .

فلتصبت عن البعثة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد أمكن الله منه ، سير يهتد ولا عهد ، فدعى فلا ضرب عنقه .

قلت : يا رسول الله إني قد أجرتك ، ثم حلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأننى به » .

فذهبت به إلى خبيق ، فبات عندي ، فلما أصبح عدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » .

قال : « بآبى أمت وأبى ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك !!! » والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ، لقد أغنى عني شيئاً بعد .

قال : « ويحك يا أبا سفيان !!! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله ؟ » قال : « بآبى أمت وأبى ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك !!! » أما هذه والله فزنى للنفس منها حق الآن شيئاً .

فقال له العباس : « ويحك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك .

عشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هبنا القنبر فأجمل له شيئاً .

قال : « نعم . . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى عليه بآبه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

عرض الجيش

فلما ذهب ليصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس ، احببه بمصين الوادي ، عند حطم الجبل ^(١) ، حتى تمر به جنود الله يراها » .
قال : فخرجت حتى حيث بمصين الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن احببه .

ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فأتقول : سليم ، فيقول : ما لي وسليم ؟ .
ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ . فأتقول : مزينة ، فيقول : عالي والمزينة ؟ .

حتى فعدت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم قال : مالي ولبنى فلان .

حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبتته الخضراء .
وإعما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .
فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحديد .
فقال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ .

قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المهاجرين والأنصار .
قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أهلك المداة عطيا .

قلت . يا أبا سفيان إنها النبوة .

قال : فنعلم إذن .

(١) أم الجبل ، وهو من يفرج منه بقيق في الطريق .

قلت : السرعة إلى قومك .

هند تأخذ بشاربه !

حتى إذا حادهم ، صرح بأهل صوته : يا منشر قريش ، هذا محمد ، قد جاءكم
فيا لا قبل لكم ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .
فعلت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ...

قالت : اقتلوا الحبث^(١) الدسم الأحسن ، قبح من طليعة^(٢) قوم !!

قال : ويلكم لا تترككم هذه من أنفسكم ! . فإيه قد جاءكم مالا قبل لكم
به ... فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلت الله ، وما تقى عما دارك !!

قال : ومن أعلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن .

فخفف الناس إلى دورهم ، وإلى المسجد الحرام .

التواضع لله

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى ، وقف على راحله
محتسباً ، نصف برجة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليضع رأسه
تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح .

حق إن عثوثه^(٣) ليكاد يمس^٤ واسطة الرّجل !

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يدخل مكة دخول الجبارين
للتكبرين ، وإنما دخلها دخول الهداة المتواضعين .

عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح
ودقته على راحله معشماً .

(١) الحبث : رذ السس ، والدسم : الكثير المذك ، والأحسن : الشديد القبح .

ترديد تشبيهه به لفصاحته وسجته .

(٢) طليعة القوم . الذي يهتفهم ، أو يحرسهم . (٣) ذقته .

ترتيب الجيش

وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين فرّق جيشه من ذي طوى .
أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدّى ، وكان الزبير على
الجنبّة اليسرى .

وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء .

وقالوا إن سعدا - حين وجد دخلا - قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل
الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن
عبادة ، ما تأمن أن تكون له في قريش صولة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : « أذركم فخذ
الراية منه ، فكن أنت الذي تدخل بها » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فدخل من أسفل مكة
في بعض الناس .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، بخصب لسكة بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة
وضربت له هناك قبته .

وناش ضرّ قليل من المشركين ، وناوشهم خالد بن الوليد .

وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، ثم انهزموا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمراءه من المسلمين ، حين
أمرهم أن يدخلوا مكة ، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد في غير مقام .
أمر بختلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة .

خطبته يوم فتح مكة

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وأطمان الناس ، خرج

حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ، فلما قضى طوافه وقف على باب الكعبة ، وقد اجتمع له الناس في السجدة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، خلق وعده ، ومصر مبدئه ، وعزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثورة أو دم أو مال يذعى ، فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سداة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والنصا فبه الية منقطة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها .

« يا معشر قريش ، وإن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب .

ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، الآية كلها .

ثم قال : « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » .

قالوا : حوراً ، أخ كرم ، وابن أخ كرم .

قال : « اذهبوا ، فأنتم الطلقاء » .

هالك مفتاحك يا عثمان !

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في السجدة .

فقام إليه علي بن أبي طالب ، ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله

اجمع لنا الخجاة مع السقاية ، صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » .

فدعى له ، فقال : « هالك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

كيف كان البيت ؟

وودوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل البيت يوم الفتح فرأى فيه

صور الملائكة وغيرهم .

فرأى إبراهيم عليه السلام ، مُصَوِّراً ، في يده الأكرام ، يستنصم بها .

قال : قَاتِلَهُمُ اللَّهُ ، جَسَلُوا شَيْخَنَا بِسُتْمٍ بِالْأَزْلَامِ ؟ . مَا شَأْنُ إِبْرَاهِيمَ
وَالْأَزْلَامِ ؟ . (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَكَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .
ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

جاء الحق وزهق الباطل

وعن ابن مسعود قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ،
وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بسود في يده ويقول : « جاء
الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يبدى » . (البخاري)
وفي رواية مسلم قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة ،
وعلى الكعبة ثمانية صنم فأخذ قضيبه ، فجعل يهوى إلى الصنم ، وهو يهوى ،
حتى مر عليها كلها .

وهكذا طهر رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت من تلك المعصيات ، وتلك
الطوائف التي حطها قریش وغيرها ببيت الله الحرام .

إن الله حرم مكة

فلما كان من الفديوم الفتح ، امتدت حُرُاعَةٌ على رجل من هذيل ،
فصلوه وهو مشرك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
فَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ يَؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْعَكَ فِيهَا دِمًا ، وَلَا يَمْسُدَ^(١)
فِيهَا شَعْرًا ، لَمْ يَحْلَلْ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي ، وَلَمْ يَحْلَلْ
لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ ، غَضِبًا عَلَى أَهْلِهَا ، أَلَا تُنْمُّ قَدْ رَجَعْتَ كَعُزْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ،

ظيّل الشاهد منكم العاتب ، فن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيها ، قهولوا إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحلها لكم ، بإمضاء خروعة لوضعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر القتل ... » .

ماذا قلتم ؟

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم — حين احتج مكة ودخلها — قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحسنت به الأنصار .

قالوا فيها بينهم . أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه أرضه وبلده ، يقيم بها ؟

فما فرح من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » .

قالوا : لا شيء ، يا رسول الله .

فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مماذا الله ، الهيا عيالك ، والمات بماتكم » .

سرايا تدعو إلى الله

وقد بث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حول مكة السرايا ، تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بتتل .

وكان ممن بث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل نهضة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا .

فوطىء بنى حذيفة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

ووضع الناس السلاح لقول خالد .

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فسكرتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، قتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجع يديه إلى السماء .
ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

اللهم إني أبرأ إليك

ثم اختلف رجل من القوم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأخبره الخبر .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : « فاعل
أخرج إلى هؤلاء القوم فاعط في أمرهم ، واجعل أمر الجماعة تحت قدميك » .
فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأعطاهم التعويضات عما أصابهم فوق ما يطلبون ، ثم رجع إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال : « أحببت وأجست » .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة ، قائماً ، شاهراً يديه
حتى إذا يرى مانت مسكبيه ، يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
ابن الوليد » . ثلاث مرات .

خالد يهدم العزى

ثم بث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى .
وكانت يتأبطه قريش وكنانة ومضر كلها .
فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انتهاء المعركة

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة
يقصر الصلاة .

كان فتح مكة لعشر ليال قين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة .

غزوة حنين

نحن في السنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة ...
 لما سمعت هوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فتح الله عليه مكة ،
 جميعا مالك بن عوف ، فاجتمع إليه مع هوازن تحيف كلها ، واحتضمت
 مصر ، وجشتم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وعم قليل
 ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة
 آلاف من أصحابه ، الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة .
 فكانوا اثني عشر ألفا ...

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد على مكة أميرا ،
 ثم مضى على وحيه ، يريد لقاء هوازن .

الهزيمة !

عن حابر بن عبد الله لما استقنسا وادي حنين ، انحدروا في واد من أودية
 تهامة أجوف ، إنما تتحدر فيه انحداراً ، وكان في ظلام الصبح قبل أن يقين ،
 وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي ، فكلموا إلينا في شعابه^(١) وحواشيه ومصيفه ،
 وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا .

هو الله ما راعنا ونحن منحصرون إلا بالكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد .
 وأمس الناس ، وانهمزوا راجعين ، لا يوى أحد على أحد .

أنا رسول الله

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : « أين أيها
 الناس ، هموا إلى » ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله .

قال جابر : فلا شيء . ١ . حلت الإبل بمصها على بعض فاطلق الناس .
إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس من المهاجرين
والأنصار وأهل بيته .

شماعة أهل مكة

فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
حداة أهل مكة المزعومة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من العداوة .
قال أبو صفيان بن حرب : لا تنتهي من يمتهم دون البحر
وصرخ جبلة بن الحنبل : ألا بطل السحر اليوم !

أين أيها الناس ؟

عن العباس بن عبد المطلب كمت امرأة أجنبية . شديد الصوت ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - حين رأى ما رأى من الناس : « أين
أيها الناس ؟ » فلم أر الناس يعرفون على شيء ، فقال : « يا عباس ، اصرخ
بمشر الأنصار ، يا مشر أصحاب السمة » ، فأجابوا لييك لييك . فذهب الرجل
لبقى عبده فلا يفتقر على ذلك ، يأخذ ويرفعه فينذرها في عنقه ، ويأخذ سيفه
وترسه ، ويتنحى عن عبده ، ويحلى سيفه ، فيؤم الصوت حتى يقتل إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

الآن حي الوطيس

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقلوا الناس ، فاقتنوا .
فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه ، فطرحت^(١) القوم وهم
يحتلدون ، فقال : « الآن حي الوطيس^(٢) » .

(١) عتلت قوم مولع الحرب (٢) حي الوطيس : جيت الحرب .

وتقاتل الناس ، فما رجعت راحمة الناس من هزيمتهم ، حتى وجدوا الأسارى
 شككتين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وهزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم منهم .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر
 بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو مكة .

وأُتزل الله عز وجل في يوم حنين (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
 حنين إذا أعجبتمكم كنزكم) إلى قوله (وذلك جزاء الكافرين) .
 ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبائا حنين وأموالها .

حصار الطائف

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين .
 ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف فحارب
 به معسكره .

فقتل ناس من أصحابه بالنسل ، وذلك أن الجود اقتربوا من حائط الطائف ،
 فكانت المبل تنالهم .

ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أعلقوه دوسهم .
 فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنسل ، وضع معسكره عند مسجده الذي
 بالطائف اليوم ، فحاصرهم نهاراً وعشرين ليلة .

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق

ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، فكان صلى الله عليه وسلم
 أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يؤذن بالرحيل ، فادن عمر بالرحيل .
 وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد قتال وحصار .

أبناءؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف ، حتى نزل
الجرانة ، فبين معه من الناس ، ومعه من هوارن سبي كثير
وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوارن ستة آلاف من
النداري والباء ، ومن الإبل والشاة مالا يدرى ما عدته .
وأتى وفد هوارن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلموا ، فقالوا :
يا رسول الله ، إنا أهل وعشير ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يحف عليك فامن علينا
من الله عليك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبناءؤكم وزيوتؤكم أحب إليكم
أم أموالكم » ؟ .

فقالوا . يا رسول الله ، حيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ؟ بل نرد علينا ساءنا
وأبناءنا فهو أحب إلينا .

قال لهم : « أما ما كان لي ولني عبد المطلب ، فهو لكم ، وإذا ما أنا صبت
الظهر بالناس ، فقوموا قولوا إنا نقتنح برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى
المسلمين . وبالمسلمين إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أساتنا وسائنا ،
فما أعطكم عند ذلك ، وأسأل لكم » .

فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فكلموا بالأي
أمرهم به .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ما كان لي ولني عبد المطلب
فهو لكم » .

قال المهاجرون وما كان ساء هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت الأنصار وما كان له هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إسلام مالك بن عوف

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن . وسأهم عن مالك بن عوف ، ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع قتيب .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحرروا مالكاً إنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل » .
فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركب . فحقق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالبحراء ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل .
وأسلم فحسن إسلامه !! .
وكان ذلك من جميل سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفس .
وقال حين أسلم :
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ مَنَّا فِي النَّاسِ كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ
فاسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى من أسلم من قومه ، فكان يقاتلهم تقيماً ، حتى ضيق عليهم .

توزيع في هوازن

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب ، وأنبه الناس يقولون : يا رسول الله ، انقسم علينا فينا من الإبل والعمر ، حتى أجاؤم إلى شجرة ، فاحتطفت عنه رداءه ، فقال : « ردوا ورا على ردائي أيها الناس فوالله أن لو كان لكم تعدد شجر تهاجمه بعضاً لبعض عليكم ، ثم ما ألتفتوا ولا يحبوا ولا حباناً ولا كدوة » .
ثم قام إلى حب عيره ، فأخذ ويره من سنامه بين أصميه ثم رجع ، ثم قال : « أيها الناس ، والله ما من فيكم ولا هذه الورد إلا الخمس . والخمس مذكورة عليكم ... » .

المؤلفة قلوبهم

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من
أشراف قريش ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم .
فأعطى أبا سعيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى أبا مسعود مائة بعير ،
وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحرث بن الحرث بن كلفة
مائة بعير ...
وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وقبائل العرب
ولم يسط الأنصار شيئاً .

اللهم ارحم الأنصار

لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش ،
وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد الأنصار في أنفسهم ،
حتى كثرت منهم المقالة^(١) ، حتى قال قائلهم : لقي الله — رسول الله صلى
الله عليه وسلم قومه .

فدخل عليه سعد بن عباد ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الخي من الأنصار
قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الي ، الذي أصبت ، فقامت في
قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب . ولم يك في هذا الخي من الأنصار
منها شيء .

قال : « فإين أنت من ذلك يا سعد ؟ » .

قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي ؟ .

قال : « فاحم لي قومك في هذه الخطيرة^(٢) » .

فخرج سعد : فجمع الأنصار في تلك الخطيرة .

فجاء رجال من المهاجرين فتركوهم فدخلوا ، وجاء آخرون فرددوهم .

(١) المقالة : السلام الردي . (٢) الخطيرة : مكان ينفذ للابل والنم .

فلما اجتمعوا له أمانه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الخى من الأنصار .
فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ،
ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ما قاله ^(١) بنسبى عنكم ؟ رجدة ^(٢) وحدثوها على
فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللاً لا فهداكم الله ، وعالة ^(٣) فأعانكم الله ، وأعداء فأحب
الله بين قلوبكم ؟ » .

قالوا : بلى ، الله ورسوله أمّن وأفصل .

ثم قال : « ألا تحبوتى يا معشر الأنصار ؟ » .

قالوا : بماذا تحببت يا رسول الله ؟ الله ورسوله بل والعض .

قال صلى الله عليه وسلم : « أما والله لو شئتم لقتلتم ففصدتكم ولصدقتكم ، أليس
مكذباً فصدقتك ، ومخدولاً فنصرتك ، وحريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ^(٤) .
أوحدثتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى جماعة ^(٥) من الدنيا تأملت بها فوما
ليسلوا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترصدون يا معشر الأنصار أن يذهب
الناس بأشاة ولبيير ، وترجعوا رسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد
بيده لولا الهجرة لكسب امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شيعاً ، وسلكت
الأنصار شيعاً ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأسألهم الأنصار ،
وأبأه أساءه الأنصار » .

فبكى القوم حتى بوا الحام بالدموع ، وقالوا : رحمتنا رسول الله فما وخطأ .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرقوا .

(١) القالة : الكلام الردى .

(٢) جد : وموحدة وهى اسقاب .

(٣) عالة : فقراء .

(٤) فأسيناك : أعطيتك حتى جمداك كأعضنا .

(٥) جماعة : جملة من رأى ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا وميسها .

العودة إلى المدينة

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجُمُرَانَةِ معتمراً ، يريد زيارة البيت ، وأمر ببقائه إلى « خُبَسِ بِمَرِّ الطَّهْرَانِ » .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته ، انصرف راجعاً إلى المدينة .

واستحلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وحلفَ معه معاذ بن جبل على ما في الدين ، ويعلمهم القرآن ، وأنشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقائه إلى « » .

وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة ، فقدم المدينة على بقية ذى القعدة .

غزوة تبوك

نحن في السنة التاسعة من الهجرة .

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ،
ثم يأمر الناس بالتهيو لغزو الروم .
وذلك في زمن عُسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من السلاء .
وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في غارهم وظلالهم ، ويسكروهن الخروج
على الحلال ، من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلما يخرج في عروة إلا كَتَفَ بها ،
وأحبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصده ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه
يَسَّها للناس ، بعد المسير ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي ينته إليه ، لينأهب
الناس لذلك أهبطه ، فأمر الناس بالتمسكة ، وأخبرهم أنه يريد للروم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَدَّ في سفره ، وأمر الناس بالخمار
والانكماش ، وحض أهل النخيل على البقعة والخمائل في سبيل الله ، فحمل
رجل من أهل النخيل ، واحتسبوا ، وأتفق عثمان بن عفان في ذلك حقة عظيمة لم
ينفق أحد مثلها

اللهم ارض عن عثمان

أتفق عثمان بن عفان في جيش العُسرة ، في عسوة تبوك ، ألف دينار
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنَّ
عَنْهُ رَاضٍ » .

لا أجد ما أحملكم عليه

ثم إن رجلا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اليكأون
وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لأجد ما أحلکم علیہ » فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

وحاء العذررون من الأعراب فاعتذروا إليه ، فلم يذيرهم الله تعالى .

تخلف بعض المسلمين

ثم استتب رسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأتبع السير .

وقد كان نفر من المسلمين أخطأت بهم البية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلفوا عنه ، عن عير شك ولا ارتياب ، منهم حكيم بن مالك ، ومؤادة بن ربيع ، وهلال بن أمية ، وأبو خيثمة ، وكانوا نفر مدني لا يتهيئون في إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صرب معسكره على ثنية الوداع .

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي ، فبعض تخلف من المنافقين ، وأهل الريب .

لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعر ، فلما سرب على وجهه بثوبه ، واستعمل راحته ، ثم قال : « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون حوماً لأن يصيبكم مثل ما أصابهم » .

هذا أصبح الناس ولا ماء معهم ، شكراً لذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سبحانه فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتلوا حاجتهم من الماء .

وقال نفر من المؤمنين لرجل معروب ما قاله كان يسير معهم : ونحك !! هل سد هذا شيء ؟ .

قال : سخافة مارة !

رحم الله أبا ذر

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يخطب منه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : « دعوه ، فإن يك منكم خير فليخبره الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » .

حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر ، وأبطلأ به بمسيرة ، قال : « دعوه فإن يك فيه خير فليخبره الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » .

ونوّم أبو ذر على بعيره ، فلما أظلم عليه أحد متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يبيع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في سارده ، فظفر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشی على الطريق وحده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن أبا ذر » .

هذا تأمله النعم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر ، يمشی وحده ويموت وحده ، ويُنتف وحده » .

أمان لأهل أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يوحنا بن روبة صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية . وأتاه أهل جزياء ، وأقذرح فاعطوه الحرية .

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم ، فيكتب يوحنا « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمة من الله وحمده النبي رسول الله ليؤمنن رؤيته ، وأهل أيلة ، سعيهم وسيلارهم في البر والبحر ، لهم قمة لله

وذمة محمد النبي . ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله حوز نفسه . وإنه طيبٌ لمن أحده من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء بردوه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

إنك ستجده يصيد البقر

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعته إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصيه بمضرب الليل ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ومنه امرأته .

فبانت للبقر تحك بقروها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟

قال : لا والله .

قالت : من يترك هذه ؟

قال : لا أحد .

فزل فأمر جرس فأمرج له ، وركب معه فر من أهل بيته فبهم أخ له يقال له حسان .

فركب وخرحوا معه بمطاريرهم .

فلما خرجوا تلقفتهم حين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أحاه .

وقد كان عليه ثياب من ديباج محوَّص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل قدومه به عليه .

ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخص له دمه ، وصالحه على الخزينة ، ثم حل سبيله ، فرجع إلى قريته .

مسجد الضرار

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل لدى أَوَّاس ، بِلَيْلَةٍ مِنْ بَيْنِ الْمَدِينَةِ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ .

وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ ، قَدْ كَانُوا أَتَوْهُ ، وَهُوَ يَتَحَيَّرُ إِلَى نَمْلَةٍ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَدْ نَفَيْنا مَسْجِدًا ، نَدَى الْمَلَّةَ وَالْحِمَاةَ ، وَتَلِيلَةَ الْمُطِيرَةِ ، وَالْمَالِيَةَ انْشَائِيَّةً ، وَإِنَّا نَحِبُّ أَنْ نَأْتِيَا فَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ .

فَقَالَ : « إِنِّي عَلَى جِوَّاحٍ سَقَرٍ وَحَالٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ قَدْ قَدِّمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِأَنْبِيَاءِكُمْ فَصَلَّيَا لَكُمْ فِيهِ » .

فَعَمِيَ بَدَى أَوَّاسُ ، أَنَّهُ خَيْرٌ لِلْمَسْجِدِ ، فَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالِكَ بْنِ لَدْحَشٍ وَمَعْنَى بْنِ عَدَى ، فَقَالَ : « ائْتِيا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الطَّالِبِ أَمِيَّةُ فَاهِدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ » .

فَخَرَّحَا سَرِيْعَيْنِ ، حَرَّقَاهُ وَهَدِمَاهُ ، وَتَفَرَّقَا عَنْهُ .
وَمِنْ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَزَلَ : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرْرًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .

الثلاثة الذين خلفوا

وَعَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَهَذَا كَانَ خَلْفَ عَنْ رَهْطٍ مِنْ أَصَابِقِيْنِ .

وَتَخَفَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سِرِّ شَيْئٍ وَلَا هَاقٍ كَسِبَ مِنْ مَالِكٍ وَمِرَارَةَ بْنِ الرِّبْعِ ، وَهَلَالِ بْنِ أَمِيَّةٍ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « لَا تُسَكَّنَنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ » .

وَنَافَهُمْ مِنْ تَخَفِ عَنْهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَعَمِلُوا بِحَقِّهِمْ لَهُ ، وَيَعْتَدِرُونَ ، فَصَحَّ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَعِدْهُمْ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ وَاعْتَزَلَ الْمُسْلِمُونَ كَلَامَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةِ .

كعب بن مالك يروي قصته

عن كعب بن مالك قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عروه
غراماً قط ، غير أني كنت قد تخلفت عنه في عروه بدر ، وكانت عروه لم يعاتب
الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها .

وكان من خبري - حيث تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
عروه نبوك - أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر من حين تخلفت عنه في تلك
الغزوة . . .

وغرا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار ،
وأحببت الظلال .

فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز للمسلمون معه ، وحملت أعدو
لأتجهز معهم ، فأرحح ولم أقص حاجة ، فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك
إذا أردت .

فلم يزل ذلك يتنادى لي ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً
والمسلمون معه ، ولم أقص من جهazy شيئاً ، فقلت : آتجهز معه يوم أو يومين ،
ثم ألحق بهم .

فعدوت بعد أن خرجوا لآتجهز فرجعت ولم أقص شيئاً .

ثم عدوت فرجعت ولم أقص شيئاً ، فلم يزل ذلك يتنادى لي حتى أسرعوا ،
وسقى الغزو .

فهمت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت ، فلم أصل ، وحدث إذا حرحت
في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم يجرني أي لا أرى
إلا رجلاً مطبوعاً عليه في النفاق ، أو رجلاً من عدو الله من الصفا .

ولم يدكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نبوك ، قال وهو
جالس في القوم بنبوك : « ما فعل كعب بن مالك » ؟

فقال رجل : يا رسول الله ، حبسه بُرداه والظرف عظميه .
فقال معاذ بن جبل : بش ما قلت ! . والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً .

فكثرت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حزيناً ، حزني ، لمعلت أنذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سعته رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً ؟ . وأسعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشرف قلعاً ، ذهب عني الباطل ، وعرفت أني لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجست أن أصدق .

وصيحت رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس .

فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فخطبوا يخطبون له ويستذرون ، وكانوا بضمة وثمابين رجلاً ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أيديهم ، وأيمانهم ، ويستنصر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

حتى جئت فسلمت عليه ، فبسم بسم الغصب ، ثم قال : « نأله » .
فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلفك ؟ ألم تكن انصت ظهرتك » ؟ .

قلت : إني يا رسول الله ؟ والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا رأيت أني سأخرج من سعته مدبر ، لقد أعطيت جدلاً ، ولكن والله لقد علمت لأن حدثتك اليوم حديثاً كدماً لترصين عني ، وليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديثاً صدقاً ، نمد على يدي ، إني لأرحو عظامي من الله فيه . . .
ولا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ! .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدقت به ، قسم حتى يقضى الله فيك » .

فصمت ، وثار منى رجال من بنى سلفة ، فأتبوني . . .

ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد عيرى ؟

قالوا : نعم ، رجلان قالوا مثل مقالتيك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك .

قلت : من هما ؟

قالوا : سرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

هذكروا إلى رجلين صالحين فيهما أسوة ، فصمت حين ذكرهما إلى .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامها أيها الثلاثة من بين من تحمل عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتنبهوا لنا ، حتى تسكرت لى نفسى ، والأرض ، لما هى بالأرض التى كنت أعرف .

فلبئنا على ذلك خمسين ليلة ...

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأحلام ، فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى محاسنه عند الصلاة . فأقول فى نفسى . هل حرك شعبي برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النهر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك على ، من حموة المسلمين ، مشيت حتى تسورت حدار بستان أوى فناءه ، وهو ابن عمى ، وأحب الناس إلى فصدت عليه ، هو الله مارداً على السلام !

فقب . يا أبا فناءه ، أشدك لله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟

فصكت ، صدت فمشدته ، فصكت عني ، فصدت فمشدته ، فصكت عني ، فصدت فمشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم !

فماضت عيناى ، وورثت قلندورث البستان . . فأقنا على ذلك ، حتى إذا
حضت أرمعون ليلة من الغمين ، إذا رسول رسول الله يأتينى فقال : إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرك أن تنزل امرأتك .
قلت : أطلقها أم ماذا ؟

قال : لا ، بل امزلفا ولا تقرها .
وأرسل إلى صاحبه " مثل ذلك ، فقلت لاسرائى : الحق بأهلك ، فكونى
عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض .
وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ه :
يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ، ضائع لآخادم ه ، أفنكره
أن أخدمه .

قال : « لا ولكن لا يقر بذك » .
قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلى ، والله مازال بهى مقعد
كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، والله تحوقت على بصره .
فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة
هلال بن أمية أن تخدمه ؟ .

قلت : والله لا استأذنه فيها ، ما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ؟ .

فلوئنا بعد ذلك عشر ليال ، فكل لنا حمون ليلة من حين نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا .

ثم صليت الصبح ، صبح حمين ليلة على ظهر بيت من دورتنا على الحال
التي ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت على نهى . .
إذ سمعت صوت صارخ يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أشير .

نفرت صاحباً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .
 وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بقوة الله علينا حين صلى
 الفجر ، فذهب الناس يبشرون .
 وذهب نحو صاحب " يبشرون " ودكض رجل إلى فرسا ، فكان الصوت
 أسرع من الفرس .
 فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى ، زمت ثوبى فبكسوتها إلاء
 بشارة ، ووالله ما أمك يومئذ غيرها .
 وامتعت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتبعهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .
 وتلقاني الناس يبشرونى بقوة ، حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى
 الله عليه وسلم جالس حوله الناس .
 فقام إلى طلحة بن عبيد الله غيابة وهنأنى ، ووالله ما قام إلى رجل من
 المهاجرين غيره .
 فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ووجهه يرفى من
 السرور : « أبشر بحير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » .
 قلت : أمن عتلك يا رسول الله ، أم من عند الله ؟
 قال : « بل من عند الله » .
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سبشرك أن وجهه نطأ قر ،
 وكنا نمرق ذلك منه .
 فلما جلست بين يديه قالت : يا رسول الله ، إن من توبى إلى الله عز وجل
 أن أعطى من مال صدقة إلى الله وإلى رسوله .
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسيك قلبك بضع مائت فهو
 خير لك » .

قلت : إني محمّد سمى اللهى بخير .

وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ما حيت . . والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أصل بما أبلاني ، والله ما سمعت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله بما بقى .

قال : وازل الله تعالى : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا) إلى قوله (وكونوا مع الصادقين) .

قال كعب : فوالله ما أسمع الله على نعمة قط - بعد أن هداني للإسلام - كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ .

تتميم تدخل الإسلام

انتمرت تقيف بينها ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداً من ستة رجال .

فلما دنوا من المدينة ، دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدمهم عليه .

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان خالد بن سميكة بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتبهم ، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده .

وقد كان فيما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطلابة وهي الثلاث لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب وأميرة بن شمة فيهدمها .

وقد كانوا سألوه - مع ترك الطاعة - أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كسر أوثانكم بأيديكم فسندفيعكم منه ، وأما الصلاة فلا لاخير في دين لا صلاة فيه » .

فقالوا : يا محمد ، فسندفيعكم ، وإن كانت دعة ! فلما أسلوا ، وكعب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفابهم . أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم على التقية في الإسلام وتعلم القرآن .

تدمير الطاغية اللات !

فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب ، والمهيرة بن شعبة في هدم الطاغية . تخرجاً مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف ، أراد المهيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله يذى الهدم .

فما دخل للمهيرة علماً يصرمها بالإمبول ، وخرج ساء تعيف مكشوفات الوجوه ، يسكين عليها ! .

ويقول أبو سفيان والمهيرة بضربها بالناس : وأما لك ، وأما لك ! وكان لإسلام تعيف وهدم اللات في رمضان سنة تسع من الهجرة

أبو بكر يمجج بالناس

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالاً ودا القعدة .

ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقوم المسلمين معهم .

نخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين

ونزلت سورة راءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
لشركهن من الهدى الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم . أن لا يبعد عن البيت
أحد جاءه ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه
وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى آجال مسمّاة .

فزلت فيه ، وفيمن تخلف من المنافقين عنه في نبوك ، وفي قول من
قال منهم .

فكشف الله تعالى فيها سراير أقوام كانوا يستحقون بهنير ما يظهرون ،
منهم من ملى لنا ، ومنهم من لم يسم لنا .

ولما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يست
أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم للناس الحاج ، قيل له : يا رسول الله ،
لو بدت بها إلى أبي بكر ؟

فقال : « لا يؤذى مني إلا رجل من أهل بيتي » .

ثم دعا علياً بن أبي طالب ، فقال له : « اخرج بهذه القصيدة من صدر
براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا احتلموا مني ، أنه لا يدخل الحقة كافر ،
ولا يبيع ضد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » ، ومن كان له عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته .

فخرج على بن أبي طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعضباء
حتى أدرك أبا بكر بالطريق .

فمأراه أبو بكر بالطريق قال : أمير أو مأمور ؟

فقال : بل مأمور .

ثم مضوا . . وأقام أبو بكر الناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة
على منازلتهم من الحج لئلا كانوا عليها في الجاهلية

حق إذا كان يوم النحر ، قام على سبأى طالب ، وأذن في الناس بالذي
أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بد من كل
الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان
له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل الناس
أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى ما سبهم أو بلادهم ثم
لا عهد مشرك ولا ذمة ، إلا أحداً كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد إلى مدة فهو له إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطوف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عام الوفود

إذ كانت العرب ترعى بالإسلام ، أمر قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديمهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح وفد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب ، لا ينكرون ذلك . وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما انقضت مكة ، ودانت له قريش ، ودونها الإسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حداوته ، فدخلوا في دين الله ، - كما قال عز وجل - أفواجاً ، بضربون إليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واسمعه قريه . إنه كان نوابا) .

أي فحمد الله على ما أظهر من دينك .

وقد بنى تميم

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه أشراف بني تميم .

فلما دخل وفد بني تميم للسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : اخرج إلينا يا محمد .

فأذن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك تفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا .

قال . « قد أذنتُ لخطيبكم فلو قُبل » .

فلما فرغ القوم من تفاخرهم ، وفرغ حسان بن ثابت من رده عليهم ، أسلموا ، وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم .

ومهم نزل من القرآن : (إِنَّ الدِّينَ يُدْسِدُكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَيْنِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

يا ابن عبد المطلب !

وحدث بنو سعد بن بكر ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم يقال له ضيم بن ثعلبة .

فقدم عليه ، وأماخ صدره على باب المسجد ، ثم عطفه ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه وكان ضيم رجلا قويا ، أشمر ، ذا صغيرتين .

وأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أياكم ابن عبد المطلب ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ابن عبد المطلب » . قال : أحمد ؟ .

قال : « نعم » .

قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سألتك ومضيت عليك في المسألة ، فلا تحدث بها علي في نفسك .

قال : « لا أجد في نفسي ، فسل عما بدا لك » .

قال : أشدك الله إلهك ، وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك آله بينك إلهنا رسولا ؟ .

قال : « اللهم نعم » .

قال : فأشدك الله إلهك ، وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرنا أن نعبد واحد ، ولا نشارك به شيئا ، وأن نخلص هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ .

قال : « اللهم نعم » .

قال : فأشهدك الله إنك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك
 آله أمرك أن تصلي هذه الصلاة الخمس ؟
 قال : « ألقمهم نعم » .

ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج
 وشرائع الإسلام كلها ، يشهد عند كل فريضة منها كما يشهد في التي قبلها ،
 حتى إذا فرغ قال : « إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله
 وسأؤدي هذه الفرائض ، وأحجب ما يهتق عنه ، ثم لا أزيد ولا أقص .
 ثم انصرف إلى بيته راجعاً .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صدق ذو القويحتين ^(١)
 دخل الجنة » .

فأتى بيته ، فأطلق عنه ، ثم خرج حتى أتى على قومه ، فاجتمعوا إليه
 فمكث أول ما تكلم به أن قال : « أنت الثلاث والنزى ! !
 قالوا : « ما يا ضمام ، أتق البرص ، أتق الجذم ، أتق الخفون .
 قال : « وما لكم ! إنهم والله لا يهملون ولا يتفلسون ، إن الله قد بعث
 رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً أسلفه لكم به عما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده
 بما أمركم به وما نهاكم عنه .
 فما أمسى من ذلك اليوم في حاضرة رجل ولا امرأة إلا مسلماً ! .

قبور الجارود

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو في وفد عبس
 النفس وكان نصرانياً .

عد انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كله ، عرض عليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودناه إليه ، ورضيه فيه .

فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أفنتضمن لي ديني ؟ .

فقال : « نعم أنا ضامن لك أن قد هدّك الله إلى ما هو خير منه » .
فأسلم وأسلم أصحابه ، وخرج من عنده راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صلياً على دينه حق ملك .

مسيلة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مسيلة الكذاب .

ثم انصرفوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى البصرة ارتد عدو الله ، وتنبأ ، ونكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه !
ثم جعل يستمع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مصاهاة للقرآن :
لقد أكرم الله على الخليل ، أخرج منها نسمة نسي ١١ .
وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ١١ .

وفد طلي

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طلي ، فيهم زبد الخليل ، وهو سيدهم

فلما انتهوا إليه كلمهم ، وعرض عليهم الإسلام ، فأصلوا بحسن إسلامهم .
ثم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ريّة انهم .

فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ، وأصابعه الحلى بالطريق فأت .

والله ما هذا ، لك !

قال عدى بن حاتم : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى سمع به - مني ، أما أنا فكنت أمراً شريعاً ، وكنت نصرانياً ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت منكاف في نفسي .

فقد سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهتُ ، فقلت لعلام كان لي
عربي ، وكان راعياً لإبلي : أعد لي من إبل أجد لها شيئاً فأحببها قريباً مني
فإذا سمعت بحبش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل .

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : ما كنت حاسماً إذا غشيتك خيل محمد
خاصمه الآن ، فإني قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، قالوا : هذه جيوش محمد .
فقلت : فترتب إلى أجمالي ، ففرسها ، فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت :
ألحق بأهل ديني من الذماري بالشام .

وخلعت بنتاً لحاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .
ونخلفني خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن
أصابته ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل من طيء .
ثم أطلق سراحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدمت الشام فأقامت
معدة .

فمات لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تريد في أمر هذا الرجل ؟
قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يسكن الرجل نهباً فلما بقى
إليه فضله ، وإن يسكن ملكاً فلن تذل في عز اليمين وأنت أنت .
قلت : والله إن هذا لمرأى .

فخرجت حتى أقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت
عنده وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : « من الرجل ؟ »
فقلت : عدى بن حاتم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي إلى بيته .
فوالله إنه لعامد في إلهيه ، إذ أقبلته امرأة ضميمة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف
لها طويلاً ، ثم كلمه لي حاجتها .

قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؟

ثم مضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة محشوة ليفاً ، فتذقها إلى ، فقال : « حاس على هذه » .

قلت : بل أنت فاجلس عليها .

فنال : « بل أنت » .

جلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض .

قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ؟

ثم قال : « يا أيها العدي بن حاتم ، ألم تك رگرميًّا^(١) ؟ » .

قلت : بل .

قال : « أولم تكن تسير في قومك بالبرجاع^(٢) ؟ » .

قلت : بل .

قال : « فإن ذلك لم يكن محل لك في دينك » .

قلت : أجل والله .

وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجمل .

ثم قال : « اسلك يا عدي إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من

حاجتهم ؟ . فوالله لو سكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه .

ولمك إنما يمنعك من دخول هذه ما ترى من كثرة عدوم وفاة مددم ؟ فوالله

لو سكن أن تسمع المرأة تخرج من القبة على بغيرها حتى تزور هذا البيت

لاتخاف . ولما لك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان

في خيبر ؟ وإيم الله لو سكن أن تسمع بالقصور البهمن من أرض بابل قد

فتحت عليهم » .

فأصلمت . . .

(١) قوم هم دين بين دين الصاري والسائين .

(٢) المراح : دبر العجبة .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله لتكونن :
قد رأيت القصور البيضاء من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت للرائد تخرج
من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تمحى هذا البيت ، وإيم الله لتكرو
الثالثة : ليعيبن لئال حتى لا يوجد من يأخذ .

عمرو بن معد يكرب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس
من بني زُبَيْد ، فأسلم .
فدا ترق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد .

ما بال هذا الحرير ؟

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس في وفد
كُندَةَ ، في ثمانين راكبا ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده
وقد مشطوا شهورهم وسرحوها ، ونكعوا ، ما بهم جُبَب ، وقد طرروها
بالحرير .

فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَمْ تُكَلِّمُوا ؟ »
قالوا : بلى .

قال : « فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ »
فشتوه منها ، فألقوه .

ملوك حمير تبعث رسلا

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مقدته من
تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم .

وسكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا كان منه : (بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي ، إلى . . . أما بعد ، فإنه قد وقع

فما رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فقمنا بالمدينة ، فباع ما أرسلتم ،
وحيز ما قبلكم ، وأبنانا بإسلامكم ، وقتلكم للشركين . . . وإياه من أسلم
من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم . ومن كان
على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرث منها ، وعليه الجزية . . . من أدى
ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه
فإنه عدو لله ولرسوله . . . وإني قد أرسلت إليكم من صالحى أهل وأولى
دينهم وأولى علمهم ، وآسركم بهم خيراً ، فإيهم منظور إليهم ، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم معاذ بن جبل ، أوصاه ،
وعهد إليه ، ثم قال له : « يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ ، وَبَشِّرْ وَلَا تُفْزِرْ ، وَإِلَيْكَ سَتَقْدِمُ
عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَكَ : مِمَّا دَخَلُ الْجَنَّةُ ؟ . فقل : شهادة أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له . »

فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن ، قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الروم يصابون فزوة .

وبعث فزوة بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً بإسلامه ،
وأهدى له نفلة يبعثها

وكان فزوة عاملاً للروم على من يبيعهم من العرب ، وكان مبره ثعمان ،
وما حولها من أرض الشام .

فلما باع الروم ذلك من إسلامه ، طيروه حتى أخذوه ، فبسروه عندهم .
ثم ذروا عنقه وصلبوه على ماء لهم ، فقالوا : يا ابن

إسلام نبي الحرث بن كعب

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع

الأخر ، سنة عشر من الهجرة ، إلى بنى الحرث بن مكعب بن جبران ، وأمره أن يدموهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج حماله حتى قام عليهم ، فبعث الزكيان يضربون في كل وجه ، ويدعوون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا نيا دعوا إليه .

فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بما جرى ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشرم وأنذرهم ، وأقبل ولقبيل معك رقدكم .

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بنى الحرث .

فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر عليهم قيس بن الحصين

فرجع وفد بنى الحرث إلى قومهم في غية من شوال .

الرسول يبعث أمراء الزكاة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراء وممالة على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان .

كتاب مسيلة الكذاب

وقد كان مسيلة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من مسلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد ، فإنني قد
اشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، وتقربش نصف الأرض ،
ولكن قريشاً قومٌ يعقدون ا .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه : « فأتقولان
اتبا » ا

قالا : نفول كما قال ا

فقال : « أما والله لولا أن الرجل لا تنقل اضريت أعتاقكما » .

ثم كتب إلى مسلمة . « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى
مسلمة الكذب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده ، والنافقة للمؤمنين » .
وكان ذلك في آخر سنة عشر من الهجرة .

نَجْمَةُ الْوَدَاعِ

حجة الوداع ، أو حجة الإسلام ، أو حجة البلاغ .

وإنما سميت حجة الوداع لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ولم يرجع بعدها .

وسميت حجة الإسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لم يرجع من المدينة غيرها .
وسميت حجة البلاغ لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلًا ، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه السلام ، فلما بين لم شريعة الحج ووضعه وشرحه ، أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف برفة (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

متى خرج النبي ؟

فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة من سنة عشر من الهجرة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجماع له .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس ليل من ذي القعدة ، فقدم مكة لخمس حلون من ذي الحجة .

واستعمل على المدينة أبا ذؤابة الساعدي .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه الظهر بالمدينة أربعاً ، والمصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت به راحته على البيضاء ، وحده الله عز وجل وسبح ، ثم أهل بمحج وحرمة .

كيف كانت تلك الحجة ؟

وإليك تفصيل الحجة الأخيرة الجامعة ، التي اختتم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وأعلن الله تعالى فيها إكمال الدين ، وإتمام النعمة

عن جابر بن عبد الله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يجمع ، ثم أذن في الناس في الماشرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجج^١ يقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه ، حتى أتينا ذا الحليفة ، فوفدت أسماء بنت أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أستم ؟ قال : « اغتسل واستغفر^(١) بשוב وأخرى » .

فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في السجدة ، ثم ركب القموصاء ، حتى إذا استوت به ناقته على البداء ، نظرت إلى مد بصرى ، بين يديه من راحب وماشي ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ! ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما حمل به من شيء ، حملنا به .

فأهل بالدوحيد : لبيك اللهم ببيك ، لبيك لا شريك لك لعلك ، إن الحمد والمنة لك ، ولكم لا شريك لك .

وأهل القناس ، هذا الذي يهلون به ، فلم يرؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئاً منه ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيته .

قال جابر رضي الله عنه : إذا نموى إلا الحج ، أسما نعرف العشرة ، حتى إذا أتينا البيت معه ، اسلم الركن كمن فرمل ثلاثاً ، وصلى ركعتين ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام ، فقرأ (واخذوا من مقام إبراهيم مصلًى) فجعل المقام بينه وبين البيت - كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون . ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا .

(١) استغفرى : شدى في وسطك شيئاً ، وخدى خرقه مريضة احطياها على عمل الذم ، وعنى طريقها من قدام ومن رواتها في ذلك التذود في وسطك .

فلما دنا من الصفا قرأ (إن الصفا ، والرروة من شمائر الله) بدأ بما
بدأ الله به .

فبدأ بالصفا ، فرقى عليه ، حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة ، فوحد
الله وكبره .

وقال : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو
على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده
وهزم الأحزاب وحده » .

ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم زن إلى الرروة ، حتى إذا أصبحت فدماء في بطن الرادى سمى ، حتى
إذا صعدنا مشى ، حتى أتى الرروة ، فقبل على الرروة كما صل على الصفا .

حتى إذا كان آخر طوافه على الرروة فقال : « لو أنى استقبلت من أمرى
ما استدبرته ، لم أسقى الهدى ، وجعلتها حمرة ، فمن كان منكم ليس معه
هدى فليحول » ، وليجعلها حمرة » .

فقام سراقه بن مالك بن حشم فقال : يا رسول الله أليامنا هذا أم لأبد ؟
فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى ، وقال :
« دخلت العمرة في الحج - مرتين - لا ، بل لأبد أبد » .

وقدم على من اليمن ، بيذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضي
الله عنها من حل رابت ثيابا صبيغا ، واكتعلت ، فأنكر ذلك عليها .
فقال : « إن أبى أمرنى بهذا » .

قال حارث : « كان على يقول بالمراق ، فدميت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فخرشاً على فاطمة ، فهدى صنت ، مستغنياً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها ذكرت عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها . فقال صدقت
صدقت ، ماذا قلت حين مرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إن أهل بما

أهل به رسولك . قال : فإن ميمى هدى ، فلا تميل .
قال جابر : فكان جماعة الهدى الذى قدّم به على من اليمن ، والذى أتى
به النبي صلى الله عليه وسلم مائة .
قال : نفل الناس كلهم ، ونصروا ، إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن
كن مع هدى .

فلما كان يوم الأثوية ، توجهوا إلى مي ، فأهلوا بالحج .
ودكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصل بها الظهر ، والعصر ،
والعرب ، والمشاء ، والقبر .
ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة من شعير ، تضرب
له بئيرة .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولانثك فريش إلا أنه واقف
عند المشعر الحرام ، كما كانت فريش تصنع في الجاهلية .
فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد
ضربت له بئيرة ، فنزل بها .

حتى إذا زاعت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت له ، فأتى بطن الرادى
فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم
هذا ، في شهركم هذا ، في بئركم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي
موسوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائهم ابن
ربيع بن الحارث ، كان مسترضيا في بني سعد ، فقتلته هذيل . » ورأى الجاهلية
موضوع ، وأول دماء أمّس ربنا ، ربا عباس بن عبد المطلب ،
إليه موضوع كله . فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ،
واستعظمت فروجهن بكلمة الله ، وإنكم عليهن أن لا يؤطعن فرجكم أحدا
نكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم

رزقهن وكسونهن بالعرف . وقد تركت فيكم ما لن يغفلوا بعده ، إن
اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تسألون عني ، فأنتم قائلون ؟ » .
قالوا : نعم ، أنك قد بلغت وأديت ونصحت .
فقال بأصممه السبابة ، يرغها إلى السماء ويدسكتها إلى الناس : « اللهم اشهد »
ثلاث مرات .

ثم أذن ، ثم أقام صلى الظهر ، ثم أقام فصلي العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً .
ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته
القصواء إلى الصعرات ، وجعل حبل الشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ،
فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً ، حتى غاب
القرص .

وأردف أسامة حنفة ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شفق
للقصواء الزمام ، حتى إن رأسها ليصيب تورك رجليه ، ويقول بيده اليمنى :
« أيها الناس ، السكينة السكينة » .

كأنه جبالاً من الجبال^(١) ، أرخى لها قليلاً ، حتى تصمد ، حتى أتى المزدلفة
فصلى بها المغرب والمشاء بأذان واحد ، وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئاً .
ثم اضطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر
حين تبين له الصبح ، بأذان وإقامة .
ثم ركب القصواء ، حتى أتى للشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا وكبره
وعلاه ووحده .

فلم يزل واقفاً حتى أسنو جدياً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف
الفضل بن عباس ، وكان رجلاً حسن الشعر ، أبيض وسياً ، فلما دفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مركباً به ظعن^(٢) يجرين ، طلق الفضل بنظر إليهن ،

(١) جع جبل : وهو التل من الرمل . (٢) ظعن : غص . ساء .

فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه النصل ، فحول النصل وجهه إلى الشق الآخر ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه النصل ، بصرف وجهه من الشق الآخر ينظر .

حتى أتى بطن محسّر ، فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى ، التي تخرج من الجوة الكبرى ، حتى أتى الجوة التي عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، مثل حصي الخذف .

رمى من بطن الوادي ، ثم انصرف إلى الدعر ، فبصر ثلاثا وستين يده ثم أعطى عليها دعر ماغير^(١) ، وأشركه في هدية ، ثم أسروا كل بدنه بيضة ، فجعلت في قدر قطيخت ، فأكلوا من لحمها ، وشربوا من مرقها .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفاض إلى البيت ، فصلى بمكة الظهر .

فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : انزموا بني عبد المطلب فلا أن ينابكم الناس على سناجسكم ، لتزمت معكم .

فناولوه دكوا ، فشرب منه . (رواه مسلم)

ذلك هو الحديث الرائع الذي يفصل حجة الوداع تفصيلا جليلا ملوبلا .
واقعد هؤلاء إلهك بكامله ، لينفك بدوره إلى تلك الأيام الجميلة ، التي قصصها صلى الله عليه وسلم حاجا ، ومعه أصحابه ، يقولون كما يقول ، وهم يقولون كما يفصل .

فتلأ من ذلك أمامك صورة حبة ناطقة متحركة ، تجري أمام ناظريك عن عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره كله

اللهم اشهد

قالوا : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس صناعتهم وأعلمهم من جمهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اصموا قولي ، فإن لا أدرى لعل لا ألتاكم بعد ماى هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إل أن تلقوا ربكم ، كرامة يومكم هذا ، وكرامة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمه عليها .

وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رهوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا .

وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع .

وإن أول دماءكم أضغ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضياً في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو أول ما بدأ به من دماء الجاهلية أما بعد : أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يبعد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن بطن فيا سوي ذلك فقد رضي به عما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن التمس زيادة في الكفر ، يُسَلَّ به الدين كفروا ، يملونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيهللوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله .

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة معواليه ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد : أيها الناس ، فإن لكم على أنفسكم حقاً ، ولعن عليكم حقاً
لكم عليكم أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهم أن لا يأتين بفاحشة
مبينه ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المصاجع ، و تهجروهن
ضرباً غير مُبرَّح ، فإن اتتهن فلمن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا
بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوا^(١) لا يملكن لأفهن شيئاً ، وإنكم إنما
أخذتمهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس
قولي ، فإن قد بلغت .

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به قلن تضلوا أبداً ، أمراً يتنا ، كتاب
الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قول واعقلوه .

تَمَلَّنْ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُ الْمُسْلِمِ ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمْ
مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، فَلَا تَقْلَمُنْ أَهْلَكُمْ . اللهم
هل بلغت .

فقال الناس : اللهم نعم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشهد » .

فقض رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم
ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف ، ورَمَى الْجَارَ ، وطواف البيت ،
وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم .

فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يجمع بينهما .

العودة إلى المدينة

ثم قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام بالمدينة بقية ذي الحجة
والحرم وصنفا .

(١) أسيرات .

بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين

وضرب على الناس يثاقاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة
مولاه ، وأمره أن يوطئ الخليل ثموم القنصاء ، والداروم ، من أرض
فلسطين .

فتعزز الناس ، وخرج مع أسامة بن زيد المهاجرون والأنصار .
وهو آخر بعث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الى الرفيق الأعلى

نحن في سنة إحدى عشرة من الهجرة .
 فبينما الناس على ذلك ، ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه ،
 الذي قبضه الله فيه ، في ليال بفين من صفر .
 فسكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، أنه خرج إلى بقيع العرق ، من
 جوف الليل ، فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله .
 فلما أصبح ابتدئ ، برجعه من يومه ذلك .

لقد اخترت لقاء ربي

من أبي مَوْبِيَّةَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بشئ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : « يا أبا موبية ، إنى
 قد أصرت أن أاستغفر لأهل هذا البقيع ، فاطلق منى » .
 فاطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السلام عليكم يا أهل
 القبور ، إني ليكم ما أصبحتم فيه ، مما أصبح الناس فيه ، أتبلى الفتن
 كقطع الليل لاظلم ، يبيع آخرها أولها ، الآخرة شرًا من الأولى » .
 ثم أقبل على وقال : « يا أبا موبية ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا
 والآخر فيها ، ثم الجنة ، تغيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة » .
 « قالت : بأبى أنت رأى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والآخر فيها ثم الجنة
 قال : « لا ، والله يا أبا موبية لقد اخترت لقاء ربي والجنة » .
 ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف .
 فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم صومه الذي قبضه الله فيه .

وَأَرْسَاهُ

من عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجث صداعاً في رأسى ، وأنا

أقول : واراياه ، فقال : « بل أنا واقف عائشة واراياه » .
 قالت : ثم قال : « وما ضرك لو مت قتيلا ، فقدت عليك وكفنتك
 وصليت عليك ودفنتك ؟ » .

قالت : قلت : والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي
 فأمرت فيه ببعض سائلك .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وتعلم عليه سره وهو يدور على نسائه ، حتى اشهد به وهو في بيت
 مهيوة ، فدعا نسائه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

المرض يشتد

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : تفرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله ، أحدهما النضر بن عباس ، ورجل
 آخر ^(١) ، عاصبا رأسا ، تحط قدماه ، حتى دخل بيتي .

ثم تفرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشهد به وجهه ، قال :
 « هربوا علي سبع قير من آثار حتى ، حتى أخرج إلى اللبس ،
 فأعند إليهم » .

فأقعدناه في غضب لفصة بنت عمر ، ثم حبيبه النساء حتى طلق يقول :
 « حبسكم حبسكم » .

ينعى نفسه

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه ، حتى جلس على المنبر .
 ثم كان أول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحاب أحدري ، واستغفر لهم ،
 فأكد الصلاة عليهم .

(١) هو علي بن أبي طالب

ثم قال : « إن عهداً من عباد الله ، خيره الله بين الدنيا والآخرة ، وبين ما عنده ، فاختر ما عند الله » .

فقيمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فبكي ، وقال : بل نحن نقديك بأفئتنا وأبنائنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل رسلك يا أبا بكر » .
ثم قال : « انظروا هذه الأبواب اللافظة ^(١) في المسجد فسدوها ، إلا بيت أبي بكر ، فإن لا أعلم أحداً ، كان أفضل في المعجبة عندي يدا منه » .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ في كلامه هذا : « فإن لو كنت متعناً من العباد خليلاً ، لأخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولكن محبة ، وإخاء إيمان ، حتى يجمع الله بيننا عنده » .

أنفذوا بعث أسامة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أسامة ، وهو في مرضه .

فخرج عاصياً رأسه ، حتى جلس على المنبر .

وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً ، على جملة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فسمري لئن قاتم في إمارته ، لقد قاتم في إمارة أبيه من قبله ، وإياه غلبت للإمارة ، وإن كان أبوه غلباً لها » .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكشف الناس في جهازهم ، واشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه .

فخرج أسامة ، وخرج يحمله معه ، حتى نزلوا الجرف من الدبقة على فرسخ .

(١) اللفظة : النافذة إليه .

فضرب به مسكره ، وتقام إليه الناس .
وتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أصاحه والناس ، لينظروا ما
الله غلض في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

استوصوا بالأنصار خيراً

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - يوم حلى واستغفر
لأصحاب أحد ، وذكر من أسرم ماذكر ، مع مقاتله يومئذ - « يا معشر
الهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار هل
هيئها لا تزيد ، وإيهم كانوا عتيق لقي أوبت إليهم ، فأحسنوا إلى محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئتهم »

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتقام به مرضه
حتى ضره .

من صنع هذا بي ؟

فاجتمع إليه نساء من نساء ، أم سلمة ، وميمونة ، وساء من نساء
المسلمين ، منهن أسماء بنت كعب .

وعنده العباس هم ، أجبوا على أن يلدوه^(١) ، وقال العباس : لألدنه .
فقدوه ، فلما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صنع هذا بي ؟
قلوا : يا رسول الله حملك .

قال : هذا دراه أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض . وأشار نحو
أرض الحبشة

قال : « ولم فعلتم ذلك ؟ »

فقال هم العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات جنب .

(١) لدت الريم : إذا جعلت الدواء في عنقه .

قال : « إن ذلك لهداء ، ما كان الله ليقتلني ، لا يبق في البيت أحد إلا قد إلا عى » .

فلقد كنت مبهوتة ، وإني لاصمعة ، لتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لم بما صنعوا به .

يدعو بالإشارة

عن أسامة بن زيد ، لما نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هبطت ، وهبط الناس معي إلى المدينة .

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أضيفت ، فلا تكلم . فجعل يرفع يده إلى السماء ، ثم يضمها على ، وأمرف أنه يدعو لى .

إذا والله لا يختارنا

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثيراً ما أحصيه يقول : « إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخبره » .

قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » .

قالت : قلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا « إن نبياً لم يقبض حتى يُخبر » .

ومن عائشة أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبي إلا تقبض نفسه ، ثم يرى الثواب ، ثم ترد إليه ، ثم يخبر بين أن ترد إليه ، وبين أن يلحق » .

فكملت قد حفظت ذلك منه ، فلما لم يبق إلا صدري ، فنظرت إليه حين مات هتفه ، فقلت : قد قضى ، فعرفت لى قال .

فنظرت إليه حين ارتفع فنظرت ، قلت : إذا والله لا يختارنا .

فقال : مع الرفيق الأعلى ، في الجنة ، مع الذين أسماهم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

مروا أبا بكر فليصل بالناس

عن عائشة قالت : لما استتمز رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا
أبا بكر فليصل بالناس » .

قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضيف الصوت ، كثير البكاء .
إذا قرأ القرآن ؟

قال : « مروه فليصل بالناس » .

قلت : فعدت بمثل قولي .

فقال : « إنك من موأجب يوسف ، مروه فليصل بالناس » .

قلت : يا الله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يعترف ذلك من
أبي بكر .

وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه 'بدأ' ، وأن الناس سيستاءمون
به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك من أبي بكر .

فاين أبو بكر ؟

عن عبيد الله بن ربيعة قال : لما استتمز رسول الله صلى الله عليه وسلم
— وأما عنده في نفر من المسلمين — دعاه بلال إلى الصلاة .

فقال : « مروا من يصلي بالناس » .

فخرجت ، فإذا صر في الناس ، وكان أبو بكر قائماً .

فقلت : قم يا هر فصل بالناس .

فقام . قالوا : « يا هر فصل ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان هو
رجلاً مجتهراً^(١) .

(١) مجتهراً : عال الصوت .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذان أبو بكر ؟ يا أي الله ذلك
واللهون ، يا أي الله ذلك ولللهون » .

فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى حر تلك الصلاة ، فصل بالناس .
قال لي عمر : ونحك ١١ ماذا صنعت بي يا ابن زمعة ؟ . والله ما ظننت
حين أسرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ؟ . ولولا ذلك
ما صليت بالناس .

قلت : والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنني حين
لم أرايا بكر رأيتك أحسن من حضر بالصلاة بالناس .

المنظرة الأخيرة

عن أنس بن مالك : لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله صلى
الله عليه وسلم ، فخرج إلى الناس وهم يصلون الصبح .

فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام
على باب عائشة .

فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين
رأوه ، فرحاً به ، وتفرجوا .

فأشار إليهم أن اتبنوا على صلاتكم .

وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لا رأى من هيئتهم في صلاتهم .

وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة .

ثم رجع ، وانصرف الناس ، يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أفرق^(١) ، من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالشفع^(٢) .

(١) أفرق من وجهه : أبل من صمته وبريه منه .

(٢) موضع كان لأبي بكر فيه مأوى ، وكان يتردد به .

يصلّي وراء أبي بكر

لما كان يوم الاثنين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاصياً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلّي بالناس .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكص عن مصلاه . فذفع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره ، وقال : « متلّ بالناس » . وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلى لأعدا من بين أبي بكر .

فلما فرغ من الصلاة ، أقبل على الناس ، فكلّمهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أيها الناس ، سُئِرْتِ النَّارُ ، وَأَنْهَلْتِ الْفِتْنَ كَقِطْعِ الْهَلِ لِلظُّلْمِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَسْكُونُ عَلَى بَنِي » ، إِنِّي لَمْ أَحِلَّ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ » .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله ، إِنِّي أَرَاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ بِعِدَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَصَلَ ، كَأَنْ تُحِبَّ ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ بَنَتْ خَارِجَةً أَمَّا بَنِيهَا ؟

قال : « نعم »

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالفتح .

بل الرفيق الأعلى

فَتَوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اخْتَفَتِ الشُّجَاعُ مِنْ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ، لَنَفَقِ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، لَنَامَ عَشْرَ سَنِينَ مِنْ مُنْقَضِ الدِّينَةِ . مِنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : رَجِمَ إِلَهُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ،

حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجرى .

فدخل على رجل من آل أبى بكر ، ول يده سواك أخضر .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها في يده ، نظراً عرفت أنه يريد .

فقات : يا رسول الله ، أنحب أن أعطيك هذا السواك ؟

قال : « نعم » .

فالت : فأخذته وضعتى حتى لَوَيْتُ ، ثم أعطته إياه .

فاستنّ به كأنه مارأبته يستن بسواك قط ، ثم وضعه .

ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشغل في حجرى ، فذهبت أنظر

في وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » .

فقلت : خُيِّرْتَ فاحترت ، وأدنى بمنك بالحق .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تقول عائشة : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري^(١)

وسحري^(٢) وفي دولتى^(٣) ، لم أظلم فيه أحداً فمن سقنى وحدانة سقى ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجرى ، ثم وضعت رأسه على

وسادة ، وقت ألتدِيم^(٤) مع النساء ، وأضرب وجهى .

والله ما مات !!

من أنى هريرة :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجلاً

من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول

الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى

(١) البحر : من الرقة إلى المقوم . (٢) النحر . ألى الصدر .

(٣) لي دولتى : لي نوبتي التي كانت لي . (٤) ألتدِيم : أضرب سحري .

ابن عمران ، قد غاب عن قومه ، أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قبِل : قد مات ، والله ليرجعَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعَنَّ أيدي رجال وأرجلهم ذموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

أبو بكر يقبل رسول الله

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد — حينئذ بلغه الخبر — وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم منطلي الوجه — في ناحية البيت ، عليه رُذُ جَبَرِيَّة^(١) .

فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم أقبل عليه فقبَّله ، ثم قال : يا بني أمت وأبي ، أما المودة التي كذب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن نصيبك بعدها مودة أبدا .
ثم رَدَّ السُّرْدَ على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس .

وما محمد إلا رسول

فقال : على رسلك يا عمر ، انصت . فأبى إلا أن يشكركم فلما رآه أبو بكر لا ينصت ، أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه ، أتبعوا عليه ، وتركوا عمر .

فشد الله وأمنى عليه . ثم قال : أيها الناس ، إنه من كان يسيد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية :

(١) نوع من ثياب اليمن

(وما عهد إلا رجول قد خانت من قبله الرجل أهله مات أو قتل اغلبتم على
أعدائكم ومن يتقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله
الشاكرين) .

فوالله لكان الناس لم يملوا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر
برمته .

وأخذها الناس عن أبي بكر ، بإمامي في أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها
فذهبت^(١) حتى وقعت إلى الأرض ، ما تحسني رجلاي ، وعرفت أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

عمر يروي قصة اختيار أبي بكر

قال عمر : إنه كان من خبرنا - حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم -
أن الأنصار خالفونا ، واجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، واتفقوا على
علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهم .

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقات لأبي بكر : اطلق بنا إلى إخواننا
هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نزلهم . . . حتى أجمعنا في سقيفة بني ساعدة . . .

فدنا جلسنا تشهد خطيبهم ، فأتى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما
بعد ، فدعوا أنصار الله . وكتبية الإسلام ، وأتم ما معشر المهاجرين رهط منا ،
وقد دقت^(٢) دافئة من قومكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون أن يختارونا من أصلنا ، وينصبونا الأمر .

(١) لحقت : تخرجت وذهبت .

(٢) دافئة : الجماعة تأتي من الهادئة إلى الحاصرة .

فما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زوّرت^(١) في نفس منالة قد أجهتني ،
أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر . .

فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ يا عمر ، فسكرت أن أغضبه .

فحككم ، وهو كان أعلم مني وأوفر ، فوافقه ما ترك من كلمة أجهتني من
تزويري إلا قلما في بديهة ، أو مثلاً ، أو أفضل ، حتى سكت ، قال : أما
ما ذكرتم فيكم من غير فاشم له أهل ، وإن عرف العرب هذا الأمر إلا لهذا
الحق من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين
الرجلين ، فبايعوا أيهما ختم .

وأخذ يودي ويهد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا .

ولم أكره شيئا مما قال غير ما كان والله أن أقدّم فخر بن علق
لا يقربني ذلك إلى أم ، أحب إلي من أن أتأسر على قوم فيهم أبو بكر .

فقال قائل من الأنصار : معاً أمير ، ومعكم أمير يا مشر قريش .

قال : فكثر الغلط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تحوّلت الاختلاف .

فقت : أبسط يَدَكَ يا أبا بكر ، بسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه للهاجرون ثم
بايع الأنصار . . .

عمر يعتزل

عن أنس بن مالك : لما بويع أبو بكر في السقيفة ، وكان عند ، جلس
أبو بكر على المنبر ، أقام عمر فحككم قبل أبي بكر .

فحمد الله وأثنى عليه ، بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد كنت
قلت لكم بالأمرى منالة ما كانت ، وما وجدتني في كتاب الله ، ولا كانت عهدنا
عهده إني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكي قد كنت أرى أن رسول

(١) زورت : أعمدت وحضت .

الله صلى الله عليه وسلم سُبُّدَجْرُ أَمْرَنَا . . . يكون آخِرْنَا .
 وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به عَسَدَى الله رسوله صلى الله عليه
 وسلم ، فإن اعتصمتم به هذاكم الله لنا كان هداه له .
 وإن الله قد جمع أَمْرَكُمْ على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، ثَلَاثِينَ إِذْ هَمَّ فِي الْفَارِ ، قَقُومُوا فَيَايُوه .
 فَبَايَعِ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَةَ الْعَامَةِ ، بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِينَةِ .

لست بخيركم

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالقدي هو أمه ، ثم قال : أما بعد
 أيها الناس ؛ فإنني قد وُهِبْتُ عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أُخْسِفْتُ فَأَعْبِدُونِي ،
 وإن أَسَأْتُ فَتَقَرَّبُوا مِنِّي ، الصَّدْقُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ ، وَالضَّمِيرُ فِيكُمْ
 قَوِيٌّ عِنْدِي حَقٌّ أَرِجُ عَلَيْهِ حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَقٌّ
 أَخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لَا تَدْعُ قَوْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَرَبِيَهُمُ اللَّهُ بِأَقْبَلِ .
 وَلَا تَتَّبِعُ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطًّا إِلَّا حَمَمُهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ .
 أَطِيعُونِي مَا أَمَرْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ
 لِي عَلَيْكُمْ .

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

إعداد الجسد الشريف

فما برح أبو بكر رضي الله عنه ، أَقْبَلَ النَّاسَ عَلَى جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ .

فأسند على بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره ، وكان
 العباس والقنصل وقُتَيْمٌ يَحْلِيوهُ مَعَهُ .

وكان أسامة بن زيد ، وشقران مولاة ، هما اللذان يصبان الماء .
وعلى نفسه ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميص ، يذلك من ورائه ،
لا يقضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على يقول : يا أيُّ أنت وأبي ، ما أطيبك حياءً وميثاقاً .
ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .
فما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب .
صغار شين^(١) ، ويرد حبرة ، أدرج فيه إدرجاً .

الصلاة على رسول الله

فلما فرغ من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع
على سريره في بيته .

وقد كان المسلمون اخذوا في دنيه ، فقال قائل : ندفعه في مسجده .
وقال قائل : بل ندفعه مع أصحابه .

فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض
نبي إلا دفن حيث يقبص » .

فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه ، فخر
به نعت .

ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصلون عليه أرسالا
دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل
الصبيان .

ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

(١) سبة إلى محار ، وهي بلدة من بلاد اليمن .

في ليلة الأربعاء

عن عائشة قالت : ما علمنا مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ممينا
صرت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء .

وكان الذين نزلوا في قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علي بن أبي
طالب ، والفضل بن عباس ، ووثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن حوّلٍ لعل من أبي طالب : يا علي أشدك بالله ، وحفظاً
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
فقال له : انزل . فنزل مع القوم .

وقد كان مولا شقران - حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
حفرة وبني عليه - قد أخذ قطيعة ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبسها ويقرئها ، فدفنها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً .
قال ابن عباس : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ،
فمكث بمكة ثلاث عشرة ، ثم أسره بالمعجزة ، فهاجر عشر سنين ، ثم مات
وهو ابن ثلاث وستين .

(تم)

خاتمة

... ما إن فرغت من تأليف هذا الكتاب ، حتى وقع في يدي عدد من إحدى المجلات الشهرية ، التي تصدر في القاهرة ، ووجدت فيه مقالا ، كأنما كان مني على ميعاد .

قرأت فيه مقالا بعنوان : « السيرة النبوية لابن هشام » ...

قال لي لئال : «

تتمثل حيوية الفكر الإسلامي ونشاطه في تلك الذروة الضخمة من الكتب التي أخذ المؤثرون الإسلاميون يكتبونها منذ أن بدأت نهضتهم العقلية في الازدهار في القرن الثاني الهجري ، والتي سارت ركب المضارة لحوال المعصور ، وخذلت آمار البقية الإسلامية في الفقه والتشريع ، والفن ، والأدب ، والتاريخ والرحلات والفلسفة والطب ، وسائر فروع العلم التي عرفت الإنسانية إلى اليوم .

وتمتاز المكتبة الإسلامية بجملة لم تتوفر لسواها من المكتبات : ذلك أنها تستمد إلهامها ونموذجها من كتاب سماوي خالد ، صرب لها القتل في البيان ، وفتح أمام أصحابها آفاق المعرفة ، ووجههم إلى القربى والبحث ، فلا هو إلا أن استقرت الأوضاع في عالمهم الواسع الحديد حتى عكفوا على دراساتهم في شرف وجدد ، وحتى سلكوا سبل التخصص في عوالمها ، ونظموا طرق جمع المعلومات فيها ، وأخذوا أنفسهم شيء من التقديس لجمعهم ، فلم يفته الذين الثاني الهجري حتى كانت هضمتهم التأليفية قد بدأت تؤتي ثمارها في صورة كتب لا تزال - وسقط - عماد الباحثين في الدراسات الإسلامية والعربية .

ومن الثمار الأولى لتلك النهضة كتاب « السيرة النبوية » الذي سماه الجليلي
اليوم تيمناً بمصاحب « السيرة » صلوات الله وسلامه عليه ، ومقابلة للتاريخ
الزماني المكتبة الإسلامية ، واعتزازاً بكتاب إسلامي قديم شاركت « مصر »
في فضل تأليفه . فالكتاب يمثل جهود عالمن من السابقين في تاريخ « المنأزى
والسير » : أحدهما ، محمد بن إسحاق اللذي الذي توفي في منتصف القرن
الثاني للهجرة ، والثاني عبد الملك بن هشام لما فرى المصري الذي توفي بمصر
في أوائل القرن الثالث ، فأما العالم الأول فقد جمع مادة السيرة من الأخبار
والروايات التي كان يفتاقلها مجتمع « المدينة » وحفظها روايتها ومحدثوها ،
وأضاف إلى ذلك ما وجد أثناء زيارته « للاسكندرية » وسماه من أهل الحديث
بها ، وأما العالم الثاني - وهو ابن هشام - فقد أعمل فيها يد التنظيم والتلخيص
والنقد : فانتصر من مادتها الواسعة على ما كان خامساً بنسب الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ثم ما كان منصباً على سيرة وحياته وغزواته ، تاركاً بعض
ما أورده ابن إسحاق مما ليس للرسول فيه ذكر . ولازل فيه من القرآن شيء
ولادعت إليه ضرورة التفسير والاستنباط . مهملاً بعض أشتار رواها ابن
إسحاق وشك هو في صحة نسبتها إلى أصحابها ، مستقصياً بعض التفاصيل مما جمعه
أثناء إقامته في مصر .

وفد أي أهل المغرب الإسلامي إلا أن بأحقوا بنصيبهم من خدمة
سيرة الرسول ، فانتدب عالم ضريح من علماءهم - هو « عبد الرحمن السهيلي »
الذي عاش في القرن السادس الهجري - لكتابة شرح على سيرة ابن هشام
سماه « الروض الآنف » وجمع مادته كما يقول من أكثر من مائة وعشرين
مراجعاً .

فالكتاب الذي بين أيدينا إذن يمثل محصول أربع مراحل في التاريخ

سيرة الرسول صلوات الله عليه ، الأولى مرحلة السابقين الأولين من حفاظ السيرة ومدوني صحفها من أمثال « عروة بن الزبير » و « ابن شهاب الزهري » والثانية : مرحلة الجمع الشامل لأخبار السيرة وكل ما يتعلق بها من تاريخ وقصص وأدب على يد « ابن إسحاق » ، والثالثة : مرحلة التنظيم والتلخيص على يد « ابن هشام » وتلك المراحل الثلاث تشهد بما كان لفكري القرنين الأولين من الهجرة في المدينة ومكة والبصرة ومصر من حناية بسيرة رسولهم وجمع مادتها ومحببتها ووضعها في مكانها من حقائق التاريخ الإسلامي .

أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة الشرح والتفسير التي ذهب بفصاحتها أهل الغرب الإسلامي . هذه الجهود المتتالية أنعمت مرجعاً هاماً في سيرة الرسول اعتمد عليه المؤرخون الإسلاميون خلال المصور ، كما اعتمد عليه كتابنا المحدثون من أمثال « طه حسين » و « المقاد » و « هيكل » و « الحكيem » في تاريخهم لحياة الرسول أو تحليلهم لهفريقته ، أو عرضهم لسيرة في قالب قصصي جديد . وقد أدرك الغربيون قيمة هذا الكتاب منذ القرن الماضي فترجموه إلى بعض لغاتهم كالألمانية ، وطبعوه سواراً وأضافوا إليه التفارص والتعليقات ويقوم الآن مستشرق إنكليزي معروف بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية وقد أوشك على الانتهاء من مهمته .

ومذ عشرين سنة مضت قام ثلاثة من الباحثين المصريين بإعادة طبع السيرة النبوية لابن هشام ، غفقرها وقابلوا بين نسخها المطبوعة والمخطوطة وضبطوها ووضعوا فهرساً ، وبذلك سهّلوا على الناصري العربي الحديث دراستها والرجوع إليها .

الكتاب يبدأ كما قلنا بإيراد نسب الرسول منذ « إسماعيل » ميرزا حلة مصر هذا النسب من طريق « جابر » أم إسماعيل التي شأت في « دانا مصر »

ومن طريق « مارية » التي تسراها الرسول فولدت له ابنه إبراهيم ، والروى أنها نشأت في صمود مصر ، ويذكر الكتاب بعض الأحداث والظواهر المشهورة في تاريخ الجاهلية كقصة سد مأرب ، واعتناق (تبيع) ملك اليمن النصرانية ، وقصة أصحاب الفيل وغيرها مما وردت إلى الكثير منه اشارات في القرآن ، وهو متصل في بعض هذه القصص تفصيلا أعاد منه من جاء بعده من المفسرين والمؤرخين : كالقدي فصل في قصة « الفيل » إذ بدأها من عتبة أبرهة على اليمن ، وبعثه السكينة التي أراد أن يصرف إليها جميع العرب ، وعزمه على هدم الكعبة بيت الله الحرام ، وما كان بيده وبين عبد المطلب من لقاء وحديث ، وما وقع لأرمه حين هبأ فيه وهبأ جيشه ، وتهيأ لدخول مكة وما حدث لعيش المير ، إذ أرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخفافيش والبلدان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار وقاف بمكانها ، لا يصيب منهم أحدا إلا هناك : نزعوا عارفين يتعدون الطريق الذي منه جاءوا وراحوا يتساقطون هناك وهناك وأصيب « أرمه » في جسده فأخذ يفتثر . ويذكر « ابن إسحاق » هنا أول ما روته الحصة والحدرى بأرض العرب كان ذلك العام .

فما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم كان مما عد الله عن قريش من نعمته عليهم ونعمته ما رد عنهم من أمر الحبشة فأنزل في ذلك سورة الفيل ويستمر الكتاب فيفسر ألفاظ السورة .

ويروي ابن إسحاق في آخر هذه القصة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لقد رأيت قائد الليل وسائيه بمكة أمويين مقعدين يستطمان الناس ثم يورد بمذبح عما قيل من الشعر في هذه الحوادث بعضه لأمية بن أبي الصلت وبعضه لشعراء إسلاميين كالفرزدق وابن قيس .

هذه التفاصيل لما أسامها التاريخي ، ومن الراجح أن القصص قد اختلط
 فيها بالتاريخ ، ولما كانت على أية حال تزيد الباحث في التفسير وفي الأدب
 وتعطي صورة من أحداث البيئة العربية في الرحلة التي وفد فيها الرسول صلوات
 الله وسلامه عليه . ثم يستمر بنا الكتاب في تتبع النسب النبوي من « معد »
 إلى « محمد » ويمطينا معالم من نشأته ، وخروجه مع عمه أبي طالب في تجارته
 إلى الشام ، وما كان لهذا الركب من أسمر مع « بحيرا » الراهب ، وما نصحه به
 الراهب أبا طالب إذ قال له « أرجع بابن أخيك إلى الله واحذر عليه اليهود .
 فوالله لن رآه وعرفوا منه ما عرفت لبيته شرا ، فإنه كائن لأن أخيك هذا
 شأن عظيم فأسرع » إلى الله . ويتناول الكتاب الأحداث التي تنحل
 بحياة الرسول قبل بعثته ، كحرب « الفجار » التي اشترك فيها وهو في حوالى
 الخامسة عشرة من عمره . ثم يقص علينا أسر حروجه في تجارة خديجة إلى الشام
 وزواجه منها وهو في سن الخامسة والشرين ، وحديث « خديجة » بشأنه مع
 « ورقة بن نوفل » وبغاة الكعبة واحتلاف قريش فيمن بضع الحجر الأسود ،
 ونحكيهم محمداً في هذا ، وما كانت عليه الكعبة قبل البعثة في مناهرها
 ومساحتها وصورتها ، وما سبق البعثة من أمور وظواهر كانت كالطلائع لما ،
 وإلى بعضها أشار القرآن الكريم . أما سيرة الرسول من أول البعثة فالتكتاب
 يتبع مسجداً مفصلاً جارباً على نسق الحوادث والنزوات وتتابها وما نزل في
 كل حادثة من قرآن ، وما قيل فيها من شعر ، ومن اشترك فيها من الأشخاص
 وما أثر عن الرسول فيها من قول أو عمل ، وما صاحبها من التشريع
 والأحكام ، وما لاسمها من العهود والوائق ، وما سجل الرسول وأصحابه
 وأصداره فيها من شروب البسالة والإقدام ، وما امتحن به المسلمون أحياناً
 من بلاء أو هزيمة ، وما وضع الرسول من الأسس والقواعد لدولة الإسلام

الجديدة ، وما رسم لها من الخطط المستقبلية ، التي تولى تنفيذها خلفاؤه من بعده . وهكذا نجد أنفسنا أمام سجل واف لحياة تلك الشخصية العظيمة ، التي عبرت وجه التاريخ ، وأخرجت للعالم حضارة إنسانية رائعة تقوم على دعائم العفة والحرمة والمضيئة والأخوة ، وهذا السجل يستمد مادته من مصدر لا بأنه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن ، ومن الأخبار التاريخية والقصصية والأدبية التي حفظها الرواة وتناقلوها ، حتى أوصلوها إلى عهد التدوين والتأليف ، وكتاب السيرة النبوية على هذه الصورة يهيء — في نظري — أداة من أدوات التربية الإسلامية الفاعلة التي تنفع الشباب في دور فتوتهم ورشدتهم ، فهي تصلهم بحياة الرسول في طريقة محبة تجمع القرآن والتاريخ والنصص والأدب . وكل ما تحتاجه أن يقوم باحث حديث فيعرضها من جديد عرضاً منظماً ، يناسب تفكير العصر الحاضر ، ويربط بين بعض هذه النواحي والبعض الآخر ، ويصدها لأن تكون غذاء صالحاً لمائدة الشباب الأدبية ومعارفه التاريخية وذوقه الأدبي .



... هذا هو الحال ، وبشاء الله سبحانه أن ينشر في الوقت الذي كنت قد فرغت فيه من تأليف الكتاب .

إن للكاتب بعض تقريره فيقول : « وكتاب السيرة النبوية على هذه الصورة يهيء — في نظري — أداة من أدوات التربية الإسلامية الفاعلة ، التي تنفع الشباب في دور فتوتهم ورشدتهم ، فهي تصلهم بحياة الرسول ، في طريقة محبة ، تجمع بين القرآن ، والنصص ، والأدب ... »
ثم يضيف فيقول : « وكل ما تحتاجه أن يقوم باحث — حديث — فيعرضها

من جديد ، عرضاً متظلاً يتناسب تفكير العصر الحاضر ، ويربط بين عصر هذه النواحي والبعث الآخر ، ويملأها لأن تكون غذاء صالحاً ، لمخاطبة الشباب الدينية ، ومعارفة التاريخ وذوقه الأدبي .

هذا هو تقرير الدكتور خلف الله عن سيرة ابن هشام ، وهذه هي آياته التي يأمل أن يحققها له باحث حديث .

وهو نفس مدار في نفس ، حين قرأت سيرة ابن هشام . . سألت نفسي : لماذا لا أقوم بإخراج هذا الكتاب النبوي الكريم ، لإخراجاً يتناسب عقول عصر الفناء ؟

لماذا لا أعرضها عرضاً حديثاً ، لطيفاً ، بعيداً عن الخشوع والاسترسال ؟ لماذا لا بطلع شبابنا ، على حياة رسول الله ، الحقيقية البعيدة عن الأهواء ؟ كيف يحال بين جيلنا الصاعد ، وبين رسول الله ؟

تالله لأفمن على الناس قصة رسول الله ، ببضائه لا هوج فيها . . . وكنت أشعر وأما أقوم بذلك العمل ، أن كل إنسان في هذا العالم يشمر نفس النور الذي أعانيه .

كنت أحس أن من الإجماع أن نطل تلك الكنوز النوال ، مطمورة ، مقبورة ، لا يصل إليها إلا أهل البحث والتمحس . . . وإلا من له صبر على مصاحبة الكتب القديمة .

إن ذلك النور يجب أن يخرج إلى الناس ، ليشرق إشعاعه المألوس ، على قلوبهم ، وعقولهم ، وكيانهم .

فلملي أكون قد حققت آمالك يا دكتور ، وحققت آمال الجيل الصاعد ، بإخراج الكتاب على هذه الصورة ، التي تجمع بين جلال القديم ، وجمال الحديث .

ولعل الكتاب بوصفه الذي بيت أبدقاً ، يكون فيه ما يرمى نفوسنا
جميعاً رجالاً ونساء . . . من صدق في الأداء وفن في التعبير ؟ .

وأنا أشعر عن يقين أن الكتاب جاء سهلاً ، ميسوراً ، جميلاً .
وماذا وراء الجمال ، والسهولة ، والتبسيط ؟ .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيء لا يستطيع الإحاطة به علماً
وصحيف يمكن لبشر أن يحيط بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ .
كيف . . . والناس دونه في كل شيء ؟ .

دونه في العلم ، في الخلق ، في الصفات ، في أسلوب الحياة ، في الفهم عن
الله ، في الاستقامة على أمر الله ، في كل شيء . نحن دون رسول الله . . .
فكيف يتكلم الأدنى عن الأعلى ، أو كيف يتكلم الجاهل عن المسلم ،
أو كيف يرى الأعمى شعاع النور ؟ .

ولكن الذي ينبغي أن يتقرر دائماً ، أن عظمة إنسان ما ، لا تتبع الناس
أن يقولوا قولهم فيه ، ولو كانوا هم دونه شاملاً .

ولو أنا وقفنا تحت طاع إلى رسول الله ، ثم نقول : ما لنا من سبيل إلى فهم
ذلك الرجل ، فالأول لنا ثم الأولى ، أن نصمت . . . لو أننا فعلنا هذا
لكنا آثمين .

لأن الله تعالى أمرنا أن نتبع رسول الله ، واتباعه صلى الله عليه وسلم ، لا
يعاني إلا بالإسلام حياته صلى الله عليه وسلم .

فن لم يعرف حياته صلى الله عليه وسلم ، لم نستطع أن نقتبسه ، في صفة
أو صغيرة .

فنحن مأمورون من الله بمنزلة رسول الله ، لأن هذا هو الطريق الأوحـد
لا تباعه في أمور الحياة .

ومن هنا يلزم أن نتكلم عن رسول الله ، ولو لم تكن في مقام رسول الله
وفي هذا العصر . عصر الفضاء . . . حيث يقف الإنسان منوراً بطلعه ،
منكراً لله ، ربه الذي خلقه . . .

في هذا العصر نشهد الحاجة إلى رسول الله ، لأنه هو النور الذي يكشف
أمامنا حقائق الحياة .

وها هو الإنسان الحديث ، بمله ، وفكره ، وصواريفه ، وسفن فضائه ،
وكل فتوحاته العلمية الرائعة ، يقف حائراً يسأل : ولكن أين الحق من وراء
هذا كله ؟ لقد اغتصت لنا آفاق السماء ، وسقطت أمامنا حجب المادة ، وأصبح
الكون أداة طيعة في أيدينا . . . ولكن ماذا وراء هذا ؟

إن هناك شعوراً ملحاً ، يذق بسف على قلب الإنسان الحديث ، ويصيح
به : ماذا وراء الآفاق ، وماذا وراء الظواهر ، وماذا وراء المادة ؟
. . . ولا أحد يستطيع أن يجيب على تلك الأسئلة إلا رسول الله . . .
صلى الله عليه وسلم . . .

محمد . . . وحده . . . هو الذي يستطيع أن يتقدم ، ويجيب على أسئلة
البشرية في عصر الفضاء .

نعم . . . هو صاحب هذا المقام . وحده ، دون الداس جميعاً .
ولو نست فيهم الآن ، لنسال لهم : تماثوا أيها الحيارى ، السكارى ، مخـمـر
التكنولوجيا . . . ما هذا الذي منه تمجـهون ؟

وأيـن سفينة الفضاء ، ورحلاتكم في الفضاء ، مما ارتفعتم عن الأرض ومما
كان عدد دوراتكم حول القمر . . . بل أين أنتم ولو وصلتـم إلى السكواكب

كلها ، ونزلتم بها ، وتنقلتم بينها . . . أين أنتم ولو كان هذا حالكم ، من رحلة الإسراء والمعراج ؟

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج ، أكبر رحلة فضاء عرفها الإنسان ، وهدفتها إلى يوم القيامة .

لقد خرج محمد - صلى الله عليه وسلم - من فراشه إلى بيت المقدس لولا ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فالثانية ، فالثالثة ، فالرابعة ، فالخامسة ، فالسادسة ، فالسابعة . . . ثم كان قاب قوسين أو أدنى . . . ثم أوحى به إليه ما أوحى . . . ورأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد إلى بيت المقدس ، ثم إلى مكة ، حيث عاد إلى فراشه ، وهو لم يزل دائماً 111 .

في لحظة تم هذا الحمد - صلى الله عليه وسلم - . . . وفي هذا الزمن القليل عبر السماوات ، وما وراء السماوات ، وشهد المشاهد العلى ، حتى التقى بربه ، وفرض عليه فروضه ، ثم عاد إلى الأرض كرة أخرى . . . فهل يتصور أن ترتقى رحلات الفضاء إلى هذا المقام ؟

الهم لا . . . وهذا هو الفارق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين هؤلاء الجبابرة ، الذين يهزتهم أعاجيب علمهم ، فطار طائرهم في الهواء ، ودار مدار بهما حول الأرض ، ثم وقف مبهوراً وأعلن في العالم : لقد حدث في الآفاق ، وانتمست هذا الذي يسمى الله ، فلم أجد شيئاً^(١) 112 .

اسكن رسول الله ، حين عاد من رحلة فضائه ، لم يقل كما قال هذا المجنون . كلا ولا أنكر وجود الله - وحاشاء - وإنما أصبح أشد سكينته بما كان . . . يحدث الناس بما رأى .

(١) يعني بذلك تصريح رائد الفضاء وماهيك ونقلت منه وكالات الأنباء ، من أنه لم ير الله في رحلته في الفضاء 1 .

لم يقل محمد كما قال للذكور . . وإنا نزل إلى الناس يؤدى إليهم
ما افترضه الله عليهم . . خمس صلوات في اليوم والليلة . . وجعل بعلم أصحابه
كيف يصلون ١٩

نزل محمد من رحلته أشد إيماناً بالله ، وأكبر يقيناً
نزل يعلن إلى الناس جميعاً أن لا إله إلا الله . أن اعبدوا ربكم الذى
حافظكم والدين من قبلكم . .

من هنا تشتد الحاجة إلى محمد ، ليرد إلى البشرية عقولها ، ويسيد إليها
صوابها .

وعندما يشتد الظلام ، يلتصق البشر .

إن البشرية لم تكن يوماً من الأيام ، في حاجة إلى رسول الله ، منها في
هذه الأيام .

نحن في عصر يهوج بالفتن موجاً . لنظام مادي ، محوياً من ألف مليون
إنسان ، نخضع .

السكينة القريية ، عالم تمزقته الأوهام ، والمطامع ، لا يعرف الله ، إلا من
خلال منظار التلوث .

والعالم الإسلامى . هو الآخر . . عارق إلى آذانه في الغلافات واللعنات
والشهوات .

هذ هو العالم الآن . . . ما بين مرور سده ، ومنفون دقله ، أو معدين
كاليهوى . . .

فما أشد حاجة العالم الآن إلى محمد ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

البشرية تريد أن تعرف محمداً ، وهو ينادى : لا إله إلا الله . .

بسمها الشرق ، لله يرجع . . .

ويسمعها العرب .. له يصيح عقاله ...
ويسمعها المسلمون ، لعلهم يتعدون ، ويقبضون خلافتهم ، ويتجمعون
حول رسولهم .
العالم كله ينادي : أين محمد ؟ أين رسول الله ؟
فكان جواباً .. أن تؤدي ذلك الواجب ، وأن تتقدم إلى الناس كافة ،
ومن نقول : هذا محمد .. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم !! .

بمجزوءة

موضوعات الكتاب

رقم الصفحة	
٥	مقدمة الطبعة الثانية
٨	مقدمة
	ماذا قبل البعثة ؟
١٧	متى ولد ؟
١٨	من لا يلزم ؟
١٩	عودة الطفل إلى أمه
١٩	ولكن الأم تموت
٢٠	مبدأ الطلب بكنهه
٢١	أو طالب بكنهه
٢١	تحريرى الراهب
٢٢	الأمين
٢٤	بشهاد حرب الزيجار
٢٥	بتزوج
٢٦	بمكتون إياه
	البعثة
٢١	بدء الوحي
٢٤	أول من آمن
٢٤	هتور الوحي
٢٥	بداية فرض الصلاة
٢٥	أول من آمن من الصبيان ؟
٢٦	أو طالب يفاجئها بصلبان ؟

رقم الصفحة	
٢٩	إسلام زيد بن حارثة
٣٦	إسلام أبي بكر
٣٧	السابقون الأولون
٣٨	الجهنم بالنعوة
٣٨	أول دم في الإسلام
٣٩	بدء الصراع
٤٠	لو وضعو الشمس في يميني؟
٤٠	أسلم إلينا ابن أخيك؟
٤١	بدء التعذيب !!
٤٢	ماذا نقول في عهد؟
٤٤	إيذاء رسول الله
٤٤	إسلام حنيفة
٤٥	عرض الدنيا على رسول الله
٤٦	يسألون عنه اليهود
٤٩	أول من جهنم بالقرآن
٥٠	التعذيب يشتد
٥٠	أحد . . . أحد !!
٥١	صبرا آل ياسر
٥١	أبو جهل يتولى الحرمة
٥١	الهجرة الأولى إلى الحبشة
٥٢	النجانني يرفض تسليمهم
٥٣	إسلام عمر بن الخطاب
٥٧	مقاطعة بني هاشم وبني النطلب

رقم الصفحة	
٥٨	عودة المهاجرين
٥٨	قضى الصعبة
٥٨	الإسراء والمراج
٦١	الصديق
٦٢	تطور الصلاة
٦٢	وفاة خديجة وأبي طالب
٦٣	قصة زواج عائشة
٦٤	قصة زواج سودة
٦٥	زفاف عائشة
٦٥	لماذا تزوج سودة؟
٦٦	لا نيكى بأبنية . .
٦٦	حق الطائف ... تؤدى رسول الله
٦٩	الجان يستمعون
٦٩	يعرض نفسه على التبتل
٧٠	بيعة العقبة الأولى
٧١	بيعة العقبة الثانية الكبرى

الهجرة

٨٥	كيف كانت الهجرة؟
٧٧	وصوله إلى المدينة
٧٨	بنياء مسجد رسول الله
٧٩	بذء التظلم
٧٩	بؤاحى بين المهاجرين والأنصار

رقم الصفحة

- ٨٠ كيف كان الأذن
٨١ بدء عداوة اليهود وظهور التفاف
٨١ إسلام عبد الله بن سلام
٨٣ متى حركات القبلة ؟
٨٤ فرض رمضان وزكاة الفطر

غزوة بدر العظمى

- ٨٧ كيف كانت النزوة ؟
٨٨ بقتير أسماء
٨٩ سهر وأبشروا ..
٩١ ينزل على راي الحجاب
٩١ بدء العريش
٩٢ بدء المعركة
٩٢ للباردة
٩٢ أول قتيل من المسلمين
٩٤ الذي يمرض أسماء على القتال
٩٥ ذبول للمركة
٩٦ نزل سورة الأنفال
٩٨ لغزوة بني سليم
٩٩ غزوة السويق
٩٩ غزوة ذي أقر
١٠٠ غزوة الفرع من بحران
١٠٠ حصار بني قينقاع

سرية زيد بن حارثة

١٠١

مصرع كعب بن الأشرف اليهودي

١٠١

غزوة أحد

لماذا كانت المعركة؟

١٠٥

يستشير الشعب

١٠٦

وينزل على رأي الشعب

١٠٦

المخرج للمعركة

١٠٦

ال

١٠٧

مصرع حمزة

١٠٧

للرأة قتاتل دون رسول الله

١٠٩

أروع أمثلة الفدائية

١٠٩

ماذا تصعدون بالحياة بعده؟

١٠٩

هنا رسول الله

١١٠

أين محمد؟

١١٠

هند تمثل بحمزة

١١١

انتهاء المعركة

١١١

لن أصاب بمثلك أبدا

١١٢

ادفعوهم حيث صرخوا

١١٢

لما فعل رسول الله؟

١١٢

لإهبات العدو

١١٣

غزوة الخندق

١١٧

يوم الرجيع

رقم الصفحة

١١٨	مصرع أربعين آخرين ١
١١٩	ومحاولة لاعتقال رسول الله ١
١٢٠	إجلاء يهود بني النضير
١٢١	غزوة ذات الرقاع
١٢١	ألا أقتل لكم عمدا ١٢
١٢٢	غزوة بدر الآخرة
١٢٢	غزوة دومة الجندل
١٢٢	عروة الخندق
١٢٤	خدر اليهود
١٢٥	إن الحرب حكمة
١٢٧	غزوة بني قريظة
١٢٧	يا أحمران القردة آ
١٣٠	وفاة سعد بن معاذ
١٣٠	شهداء يوم الخندق
١٣٠	مصرع سلام بن أبي المخنف
١٣١	إسلام حرور بن العاص وحائد بن الوليد ١
١٣٣	زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان
١٣٤	زواج زغب بنت جحش
١٣٤	نزول المطاع صبيحة مرثا

صالح الحديبية

١٣٧	غزوة بني الحنظلية
١٣٧	غزوة ذي قرد
١٣٨	غزوة بني المصطلق

رقم الصفحة	
١٣٨	ليختر عن الأعز منها الأدل
١٤٠	رواحه جوية بليت الخرش
١٤١	حدث الاوك
١٤٧	أبشرى يا عائشة
١٤٧	غزوة الحديبية
١٥٠	بيعة الرضوان
١٥١	عمر يرفض الصلح ا
١٥٢	المدة
١٥٣	ابن سفير فريش يأتي مسلما
١٥٤	شهود الصلح
١٥٤	بتهلل من إعرامه
١٥٤	زول سورة الفتح
١٥٦	التمار الأولى لصلح
١٥٧	للمؤمنات للمهاجرات
١٥٨	دعوة ملوك الأرض إلى الإسلام
١٥٩	قصة قهصر
١٦٢	ماذا في الكتاب ؟
١٦٣	قصة كسرى
١٦٣	قصة المقوقس
	غزوة خيبر
١٦٧	الله أكبر ، حرب خيبر
١٦٧	افتتاح الحصون
١٦٨	مروءة اليهودي

رقم الصفحة

١٦٩

معصرع بأسر اليهودي

١٦٩

بطولة علي بن أبي طالب

١٧٠

استسلام خير

١٧٠

دس السم لرسول الله

١٧١

حصار وادي القرى

١٧١

يمامون عن صلاة الصبح

١٧٢

البناء يشتركن في الذو

١٧٣

قدوم جعفر من الحبشة

١٧٣

المودة من خير

عمرة القضاء

١٧٨

زواج ميمونة بنت الحارث

١٧٨

فريش تطلب إليه الرحيل

قبل فتح مكة

١٨١

عمرو بن العاص يأتي مسلما

١٨٢

خالد يروي قصة إسلامه

١٨٤

غزوة مؤتة

١٨٥

٢٠٠٠٠ من الروم

١٨٦

هذه هي بطولة جعفر

١٨٦

الشهيد الثالث

١٨٦

خالد يأخذ الراية

١٨٧

إنه سيف من سيوفك

١٨٧

غزوة ذات السلاسل

فتح مكة

١٩١

أسباب فتح مكة

رقم الصفحة

١٩١	أبو سفيان في الذبقة
١٩٣	الأسر والتعبئة
١٩٤	كتاب إلى قريش
١٩٥	الخروج في رمضان
١٩٥	قصة إسلام العباس بن عبد المطلب
١٩٥	قصة إسلام أبي سفيان
١٩٨	مرض الجيش
١٩٩	عهد تأخذ بشاربه
١٩٩	التواضع لله
٢٠٠	ترتيب الجيش
٢٠٠	خطبته يوم فتح مكة
٢٠١	هاك مفقاداتك يا عثمان
٢٠١	كيف كان البيت ؟
٢٠٢	جاء الحق وزهق الباطل
٢٠٢	إن الله حرم مكة
٢٠٣	ماذا قلتم ؟
٢٠٣	سرايا تدعو إلى الله
٢٠٤	الهم لمن أبرا إليك
٢٠٤	خالد يهدم المعزى
٢٠٤	انتهاء المعركة

غزوة حنين

٢٠٧	المزينة
٢٠٧	أنا رسول الله
٢٠٨	شامة أهل مكة

رقم الصفحة

٢٠٨

أين أيها الناس ؟

٢٠٨

الآن حتى الوطيس

٢٠٩

حصار الطائف

٢٠٩

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق

٢١٠

أبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

٢١١

إسلام مالك بن عوف

٢١١

توزيع في هوازن

٢١٢

المؤلفة قلوبهم

٢١٢

اللهم ارحم الأنصار

٢١٤

العودة إلى المدينة

غزوة تبوك

٢١٧

للهم ارض عن عثمان

٢١٧

لا أجد ما أجلسكم عليه

٢١٨

تخلف بعض المسلمين

٢١٨

لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا

٢١٩

رحم الله أبا ذر

٢١٩

أمان لأهل أيلة

٢٢٠

إليك ستجده يصيد البقر

٢٢١

مصجد الضرار

٢٢١

الثلاثة الذين خفوا

٢٢٢

كعب بن مالك يروي قصته

٢٢٧

ثقيف تدخل الإسلام

٢٢٨

تدمير الطائفة الثلاث

٢٢٨

أنو بكر يجمع الناس

رقم الصفحة

عام الوفود

٢٣٣	وفد بني تميم
٢٣٤	يا ابن عبد المطلب
٢٣٥	قدوم الجارود
٢٣٦	مسألة الكذاب
٢٣٦	وفد طيء
٢٣٦	والله ما هذا بذاك
٢٣٩	عمر بن معد يكرب
٢٣٩	ما بال هذا الحرير ؟
٢٣٩	ملوك حمير تبحث رملها
٢٤٠	الروم يصلون فروة
٢٤٠	إسلام بني الحرث بن كعب
٢٤١	الرسول يبحث أمراء الزكاة
٢٤١	كتاب مسألة الكذاب

حجة الوداع

٢٤٥	مق خرج الدي ؟
٢٤٥	كيف كانت تلك الحجة ؟
٢٥١	الهم أشهد
٢٥٢	العودة إلى المدينة
٢٥٢	بحث أسامة بن زيد إلى فلسطين

إلى الرفيق الأعلى

٢٥٧	لقد اخترت لقاء ربى
-----	--------------------

رقم الصفحة

٢٥٧	وارأسماء
٢٥٨	للرض يشهد
٢٥٨	بني نفسه
٢٥٩	أنفقوا بمث أسامة
٢٦٠	استعرضوا بالأنصار خيرا
٢٦٠	من صمم هذا بي ؟
٢٦١	يجمعو بالإشارة
٢٦١	إذا والله لا يختارنا
٢٦٢	صروا أبابكر فليصل بالناس
٢٦٢	فأين أبو بكر ؟
٢٦٢	النظرة الأخيرة
٢٦٤	يصل وراه أبي بكر
٢٦٤	إلى الرفيق الأعلى
٢٦٥	والله مامات
٢٦٦	أبو بكر يقبل رسول الله
٢٦٦	وما عهد إلا رسول
٢٦٧	هو يروي قصة اختيار أبي بكر
٢٦٨	عمر يعتذر
٢٦٩	ألمت بخيركم
٢٦٩	إعتماد الجسد الشريف
٢٧٠	المصلاة على رسول الله
٢٧٠	في ليلة الأربعاء
٢٧٢	خاتمة
٢٨٥	موضوعات الكتاب